« لكنّ محمدا لا بَوَاكِيَ لَه »

العـــــار !

الرسول يهان في مصر ، ونحن نائمون

« لكنّ محمدا لا بَوَاكِيَ له »

العـــــار!

الرسول يهان فى مصر، ونحن نائمون

هتك الأستار عن خفايا كتاب « فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين »

د. إبراهيم عوض

دار الفكر العربى
٩٤ عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

الطبعة الثانية
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م


بسم الله الرحمن الرحيم

من قلب طعين

كنتُ ، أثناء مطالعتى لكتاب « فتـرة التكوين فى حياة الصادق الأمين » ، أحسّ أن أحدهم يطعننى بسكين محمّاة فى قلبى حتى تغوص فيه إلى مقبضها ثم ينتزعها بوحشية ليعيد الطعن بوحشية أشدّ. ذلك أن الكتاب من أوله إلى آخره إهانة لسيّد البشر صلى الله عليه وسلم واستهزاء شديد به لا أظن أن مصرنا الحبيبة أو أى بلد إسلامى آخر قد شهد له مثيلا من قبل . وإنى لذاهل غاية الذهول من هذه الوقاحة فى الإقدام على إيذاء النبى عليه السلام فى بلد مسلم كمصر يتصدّى لأعداء الإسلام ببسالة منذ قرون ويدحرهم واحداً تلو الآخر بدءاً بالصليبيين ، ومروراً بالتتار ، وانتهاءً بالاستعمار الحديث ومن يمشى فى ركابه من مستشرقين ومبشرين . فكيف وصل الحال إذن إلى أن يصدر فى أرض الكنانة مثل هذا الكتاب المجرم ثم لا تنتفض الأمة على بكرة أبيها ؟

أين الكرامة ؟ أين العزّة ؟ أين حبنا لنبينا وديننا ؟ ماذا سنقول لربنا غدا إذا وقفنا أمامه وسألنا : كيف رضيتم أن يهان رسولى على مرأى منكم ومسمع ثم لا تحركون ساكنا ؟ عفوك اللهم وغفرانك !

ومعذرةً يا رسول الله أن تطاولت عليك الكلاب والخنازير ، وأمتك نائمةٌ في العسل بل في مياه المجارى مشغولةٌ ببطنها وفرجها ولهوها السخيف ! لو أنني أعيش في عصرك لأكببتُ على قدميك أغسلهما بدموع الندم ولمرّغتُ وجهي في التراب الذى تمشى عليه قدمك الشريفة، ولكنني مغلول اليد لا أستطيع إلا أن أكتب وأردّ وأنبّه الغافلين لعلهم يستيقظون !

إن المسألة ليست مسألة إيمان وكفر أو حرية عقيدة وتعبير ، فلستُ أمارى في أن كل إنسان حرّ في أن يؤمن بما يشاء ويكفر بما يشاء ، بل المسألة مسألة سفاهة وبذاءة وقلة أدب ورغبة في إهانة رسولنا الأكرم ، وهو ما لا يطيقه أى مسلم بل أى إنسان حرّ نبيل أيا كان الدين الذى ينتمى إليه . وأنا هنا أتوجه بالاستغاثة إلى كل المسؤولين في الدولة ، وإلى النائب العام وشيخ الأزهر ورئيس الجامعة الأزهرية وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية ونواب الأمة في مجلسى الشعب والشورى ، وإلى كل الأدباء والمفكرين والكُتّاب والصحفيين الشرفاء الذين يحبون رسولهم متسائلا : كيف طاوعتكم ضمائركم على السكوت على هذا العار ؟ أو قد صار محمد رخيصا إلى هذا الحدّ ؟ أو قد أضحى صلى الله عليه وسلم كلأً مستباحاً لا يجد من

يدفع عنه العدوان ؟ إنني لا أكاد أصدق هذا الذى جرى ، وأَهْوَنُ عليّ أن أصدّق أن السماء قد انطبقت على الأرض !

أيام أن كانت هناك بقية من نخوة وعزة كان هناك من يكتب كتابا عنوانه « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ، أما الآن فيا للخزى والمهانة ، إذ كل ما نستطيع أن نؤلفه هو كتاب بعنوان « لكن محمدا لا بَوَاكِيَ له ! » . لقد استوحيت هذا العنوان من عبارة الرسول العظيم التى قالها غِبّ انكسارة أُحُد حين رأى نساء المسلمين آخر النهار يبكين الشهداء ، إلا حمزة فلم يكن يبكيه أحد، فقال عليه السلام متوجعًا : « لكن حمزة لا بَوَاكِيَ له ! » ، فعندئذ بكته الباكيات أحرّ بكاء ، فيا تُرَى هل هناك من سيبكى للرسول والإهانات التى وُجِّهت إليه ويثبت أن أرض الكنانة ما زالت خصبةً تنبت الكرام الأحرار ؟



الرد على كتاب «فترة التكوين»

الرد على كتاب « فترة التكوين »

منذ فترة ليست بالقصيرة أخذ الشك يَحِيك فى صدرى تجاه الكتب التى تحمل اسم « خليل عبد الكريم » وتهاجم الله والرسول والصحابة والإسلام مهاجمة شرسة لا تستند إلى أية أسس سليمة بل تنطلق من غلّ متلظٍّ لا يهدأ له أُوَار . لقد كان الرجل إلى أوائل الثمانينات مجرد محام لا يعرفه أحد غير أقاربه وأصدقائه وموكّليه تقريبا ، ثم شرعت بعض الصحف اليسارية تنشر له المقالات والأحاديث التى تلمز الإسلام من طَرْفٍ خفىّ ، وإن زعم صاحبها أنه إنما يدافع عن دين الله ويجلو وجهه الصحيح . ولستُ أعرف للرجل قبل ذلك أى إسهام فى مجال الفكر والكتابة ، فكيف يمكن أن تظهر فيه موهبة التأليف هذا الظهور المفاجئ بعد أن أصبح شيخًا ؟ أيكون النبوغ قد هبط عليه دون سابق إنذار كما حدث مع النابغة الذُّبيانى والنابغة الجَعْدى والنابغة الشَّيْبانى ، الذين تقول الروايات عنهم إنهم لم يبدأوا قرض الشعر إلا بعد أن تقدموا فى السنّ ؟ لكن هل من السهل ابتلاع هذه الفرضية فى حالة خليل عبد الكريم ، وبخاصة أن مقالاته التى ولج بها عالم التأليف ليست لها قيمة تُذْكَر

لا فى أسلوبها ولا فى مضمونها ولا فى بنائها الفكرى ، إذ يستطيع أن يَكْتُب مِثْلَها أىُّ إنسان يمكنه أن يتناول القلم ويُجْرِيَه على الورق ، ثم انقلب الحال فجأة كَرَّةً أخرى وأخذت تصدر باسمه كتبٌ أسلوبُها مختلف تماما عن الأسلوب السابق الذى لا يتميز بأى شىء يلفت الأبصار ، كما أنها مخدومة من ناحية المصادر والمراجع ، وفيها طنطنة وغرور مدوِّيان ؟

هذه مسألة يصعب جدا جدا هضمها ، فالمعروف أن الخصائص الأسلوبية لأى كاتب لا تتحول هذا التحول السريع الحادّ الذى ينفصل فيه الحاضر عن الماضى تماما بحيث لا يصدّق الناقد الأدبى أن هذا الأسلوب الجديد هو لصاحب ذلك الأسلوب القديم نفسه .

والأسلوب الجديد الذى صيغت به المؤلفات التى تحمل اسم «خليل عبد الكريم» بأُخَرة هو أسلوب بلغ الغاية التى لا غاية بعدها فى الحذلقة السمجة الثقيلة : فهو يَعِجّ ، وبخاصة فى الكتاب الأخير الذى نحن بصدده هنا : «فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين»[1] ، بمئات الألفاظ والصيغ الميتة التى لا تكاد تفارق بطون المعاجم والتى

(١) ط. ميريت للنشر والمعلومات / ٢٠٠١م . ويقع فى نحو ٤٢٠ صفحة .

لم يكن الشعراء القدامى أنفسهم يستعملونها إلا فى الندرة الشديدة. كذلك يحرص صاحب هذه الكتابات على التفاصح بكثرة الجمل والعبارات المترادفة التى لا تضيف جديداً إلى ما تقوله الجملة أو العبارة الأولى . إن الترادف فى يد الكاتب البليغ يزيد المعنى وضوحًا والانفعالَ حرارة بل التهابا ، أما فى حالة الكتب المذكور عليها اسم «خليل عبد الكريم» فهو ترادف ثَلْجِيٌّ خانق . ويبدو لى أن هذه الكتب، بعد أن يتم تأليفها كسائر الكتب التى يؤلفها عباد الله ، يُعْهَد بها إلى شخص آخر يتولّى تنحية الكلمات البسيطة والصيغ الشائعة ويضع مكانها الأوابد والشوارد اللغوية التى لا توجد حتى فى كتابات الأدباء المشهورين بتنكّب العادىّ من الأساليب كعبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ وابن العميد والمنفلوطى والرافعى مثلا ، إذ إن هذا التنكب من جانب أولئك الكتاب إنما هو منزع طبيعى عندهم ، أما فى الكتب التى تُنْسَب إلى خليل عبد الكريم فهو أمرٌ لا أظنه إلا مصنوعًا صناعةً ويَتِمّ ، كما قلت ، فى مرحلة تالية بعد التأليف تُمْخَض فيها معاجم اللغة الخاصة بالمترادفات والمتضادات وما أشبه .

ولست أحسب أحدا يمكن أن يخطر بباله أن خليل

عبد الكريم من العلم باللغة وغريبها إلى هذا الحد . إن ثقافة الرجل المعروفة وكتاباته السابقة ترفض خطور هذا الفرض على البال رفضا قاطعًا باتًا ، فهو ليس رؤبة بن العجاج ولا أبا العلاء المعرى ولا بديع الزمان الهمدانى ولا الحريرى بل هو هو . ويزيدنى ثقة بهذا الحكم أن الكتب المعزوّة إليه تعانى من كثرة الأخطاء النحوية والصرفية ومن ركاكة الأسلوب رغم ما هو معروف من خضوعها للتصحيح اللغوى فى المطبعة . فكيف بالله يستقيم فى العقل أن يجتمع فى شخص واحد كلُّ هذه المعرفة بغريب الألفاظ والصيغ وذلك الجهلُ بأصول النحو والصرف ؟ ومن ثم فإنى أرى أن هناك أكثر من يدٍ تشترك فى تأليف هذه الكتب . وبالنسبة للكتاب الأخير بالذات فإنى أستبعد أشد الاستبعاد أن يكون مؤلفه مسلما ولو بالاسم ، إذ فيه من الإساءة الجارحة للنبى ومن التفسيرات العجيبة لنبوته صلى الله عليه وسلم ما لا يمكن صدوره إلا من مبشّر متعصب مطموس البصر والبصيرة ، وهو ما عرضنا الأدلة عليه فى الصفحات التى بين يدى القارئ الكريم . ونرجو ألا نكون مخطئين !

ومن الأمثلة على التحذلق بالأوابد اللغوية فى الكتاب المذكور

هذه الكلمات الثلاث التى جعلها المؤلف عناوين لبعض فصوله ، وهى « قَيْدَام » ، التى لا يعرفها إلا من جعل هَمَّه التنقير فى كتب غريب اللغة . والمقصود النبىُّ الذى كان العرب وأهل الكتاب ينتظرون مقدمه . وهو جهل وتخليط مبين ، إذ « القيدام » هو « القُدَّام » لا «القادم المنتظر» كما أرادت به حذلقة الكاتب البغيضة التى طمست على بصيرته وبصره فحذف اللفظ الصحيح واستعمله بدلا منه .

ثُمَّ « الهِنْدَوْز » ، التى لا أدرى أى شيطان سخيف نفث فى رُوع مَنْ جَلَبَها إلى الكتاب . وقد أَبَى الله إلا أن يفضح جهل جالبها الذى أخذ يتعالم علينا قائلا إنها تأخذ صيغة واحدة للمذكر والمؤنث على السواء . لماذا ؟ لأنها ، كما قال ، مثل «نَشُور» و « فَرُوج » ، اللتين لا تدخل عليهما تاء تأنيث فى حالة استخدامهما وصفًا للمؤنث . أرأيت جهلاً مثل هذا الجهل ؟ ترى ما علاقة « هِنْدَوْز » (ووزنها الصرفى « فِعْلَوْل ») بـ « نَشُور » و«فَرُوج» (وزِنَتُهما «فَعُول») ؟ إن المتحذلق الجاهل يريد الإشارة إلى ما تقوله كتب الصرف من أن أية صفة على وزن « فَعُول » بمعنى « فاعل » لا تأخذ عند التأنيث « تاء » بل تُكْتَب بنفس الصيغة تذكيرا وتأنيثا . فبالله ما دخل « هِنْدَوْز » فى هذه القاعدة ؟ ثم يأبى الله إلا أن

يكشف سوأة ذلك المتحذلق ثانية حين علّق بأنه لهذا السبب « يغدو وَصْفُ سيدة نساء الأرض بـ « الهندوز » لا «الهندوزة» صحيح »[١]، إذ رفع كلمة « صحيح » رغم أنها حالٌ حقُّها النصب . وعلى كُلٍّ فصحة « الهندوز » هنا هى «الهندوزة» بالتاء رغم أنف الجهل المتنطّع[٢].

والمقصود بـ « الهِنْدَوْزَة » السيدة خديجة رضى الله عنها وأرضاها ، التى يزعم من يحترقون من أهل التبشير غِلاً وحقداً على الإسلام بسبب ما قَصَمَ من ظَهْر دينهم وفضح عوراته القاتلة أنها هى التى « التقطت » محمدا عليه السلام وهندزته وجعلت منه نبيا بعد أن كان رجلاً خامًا لا ثقافة لديه ولا خبرة له بالحياة ولا بالناس

---

(١) ص ١٠٩ .

(٢) ومثلها فى ذلك « الهِلَّوْف » (الكَذُوب) و « الهِلَّوْفة » ، و « البِرْذَوْن » (الفرس غير الأصيل) و « البِرْذَوْنة » ، و « السِّنَّوْر » (القط) و « السِّنَّوْرة » ، و« الخِنَّوْص » (ولد الخنزير) و « الخِنَّوْصة » ... إلخ . وكلها ، كما ترى ، تدخل عليها تاء التأنيث . ويقال للمرأة الضخمة المرتجّة الأرداف : « هِرْكَوْلَة » بتاء التأنيث أيضًا ، وقد تكررت فى الشعر الجاهلى ، ومنها قول الأعشى : « هِرْكَوْلَة فُنُقٌ دُرْمٌ مرافقها » .

وأفكارهم ومعتقداتهم ! ولكن هل راعى المتحذلقُ القاعدةَ الصرفية التى ألمح إليها ؟ أبدا ، فها هو ذا يُدْخِل على صيغة « فَعُول » (بمعنى « فاعل ») تاءً فى حالة التأنيث فى العبارة التالية المتفيهقة الثقيلة : « ولو أنهم قرأوها قراءة مستأنية ، وطالعوها مطالعة صبُّورة ، ودرسوها على ريْثٍ ، ولَبَدُوا بين صفحاتها ولم يَفرّوها لما كانت بهم حاجة لطرح تلك الفكرة الخائبة ، فإن الأمر أهون من ذلك ، ولا يحتاج إلى هذا التمحل ، ولا يستدعى ذلك التكلف ، ولا يستنفر ذلك الاصطناع ... » إلى آخر هذا السيلان المخاطى [1].

أما العنوان الثالث فهو كلمة « اليعسوب » ، التى من معانيها فى الاستعمالات القديمة المطمورة فى طيات المعاجم « الرئيس الكبير » كما يقول من اختار هذه الكلمة عنوانا لأحد فصول الكتاب ، جاهلاً أنها إذا استُعْمِلت الآن (وهى لا تستعمل إلا فى علم « الأحياء » عند الحديث عن النحل وعسله) فلا تعنى إلا « مَلِكة النحل » . وملكة النحل هى بطبيعة الحال أنثى ، وإن ظن العرب القدماء أنها ذَكَرٌ لضخامتها كما جاء فى « المعجم الوسيط » . ولهذا السبب لم

---

(١) ص ٢٦ .

يفسرها « المعجم العربى الأساسى » مثلا إلا بأنها أنثى النحل التى تبيض . أى أنّ الكلمة هى ، فى الواقع ، للأنثى لا للذكر ، لكن التعالُم الغبىّ يوقع صاحبه فى المزالق والمهالك ، فقد لقّب بها جالبُها إلى الكتاب ورقةَ ابن نوفل لأنه ، حسب إفكه ، هو الذى تولّى كِبْرَ تثقيف محمد عليه السلام أو « قَلْوَظَتَه وصَنْفَرَته وتلميعه » بغْيَةَ «تصنيعه» نبيا (وهذه هى ألفاظ المبشّر الحقود الذى وراء ذلك الكتاب) . والحق أن هذا المبشّر (لا ورقة) هو « اليعسوب » ، فقد كان ورقة رجلا شريفا نبيلا عنّا للحق عندما استبان له أن محمدا نبى من عند رب العالمين فآمن به وأعلنها مدوّية ، وهو الشيخ الطاعن فى السن ، أنه إن امتد به العمر فسوف ينصره ويؤازره ضدّ سفهاء قومه الذين سيكذّبونه ويؤذونه ، ولم يكن كهؤلاء المبشّرين الذين يليق تماما بهم أن يُسَمّى الواحد منهم « يعسوبا » بلغة العلم الدقيقة ! لقد كانت العرب تظن ، ولها عذرها من قلة العلم آنذاك ، أن اليعسوب هو ذكر النحل الذى يساعد إناثه ، على حين أن اليعسوب هى ، فى واقع الأمر وحقيقته ، الأنثى التى يَطْرُقها كل الذكور . ولا عزاء ليعاسيب التبشير !

ومن الأمثلة الأخرى على تباصُره السمج بالغريب استعمالُه صيغة

«الضَّرُوب» بدل « الضَّرِيب » (بمعنى « الشبيه » في قولنا : « فلان لا ضريب له »)[١] . وهو استعمال خاطئ يدل على أن الأَخِر أعمى البصر والبصيرة كما سلف القول ، ويتصدى لما لا يُحْسِن . وليس أسخفُ ولا أسمجُ ولا أغثُّ ولا أبردُ من فَدْمٍ جهول يتعالم على عباد الله ولا يلزم حدوده فيتصرف على قدر حجمه الشَّخْت الضئيل ، إذ «الضَّرُوب» هو « الكثير الضَّرْب » (سواء الضرب المعروف أو غيره) . ويبدو أن كاتبها المستخفى كان ، وهو يستعملها ، يتقلقل مهتاجًا طالبًا « ضَرُوبا » حتى يهدأ ويسكن . كذلك أضحكني غرام المبشِّر المستخفى بترديد كلمة «النسوان» (التى أسقط ألفها فى عشرات المواضع وجعلها «نِسُون»، ولا أدرى أى خَبَل أصابه فجعله يلزق فى هذه ويترك تلك) ، وكذلك كلمة «المَرَة» بدل « المرأة » أو «السيدة» كما يقول المهذَّبون الأفاضل . وهو ما يذكّرنى بشيوعى سافل جمعتنى به الظروف فى السبعينات مرة أو مرتين فألفيته كلما جاء ذكر سيدة كريمة قال : «المرة» ، فأفضيت باستغرابى لبعض من كانوا معنا وسألتهم عن السبب فى إكثاره من ترديد هذه الكلمة ،

---

(١) ص ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١٥ مثلا .

فانبرى أحد الحاضرين ، وكان ظريفا لبقا ، فقال : « لأن البعيد مَرَة ابن مَرَة ، ويُؤْتَى من ... » ، فأُخِذْت بهذا الردّ الذى لم يكن لى فى حسبان ، وظننتُ أنه قد تجاوز المدى جريا وراء السجعة ، وكم للسجّاعين من تجاوزات ، بيّد أن جاره سارع إلى طمأنتى قائلا : « لا تُرَعْ . إنه يسجع ، لكنه لا يقول إلا حقًا . فالأبعد «مفعول فيه» كما يقول النحاة » ، وهو ما أكده الحاضرون جميعًا ، ومنهم الشيوعى ، ومنهم ذو الدين ، ومنهم من لا يهتم بشيوعية ولا دين ، فعرفت أن الأمر كما قال .

ومن الحذلقة الغثّة الباردة أيضاً قولُ المبشّر المستخفى عن الأنظار: « من المحال أن يتصف المنتظَر (أى النبى المنتظر) بأنه مُهْتَلَس العقل أو هِجْزِع أو ذو زعارة »[1]. والله لا مهتلس عقل أو هجزعًا ذا زعارة إلا هذا الأزعر وأمثاله ! وقد قلت : « الأزعر » عن عمد جريًا على أسلوب إخواننا اللبنانيين الذين صدر فى بلادهم منذ سنوات كتابٌ له صلةِ بالكتاب الذى بين أيدينا مما سيأتى خبره بعد قليل ، وذلك حتى تكون الألفاظ مناسبة لسياقها ، فقديما قال أهل البلاغة إن لكل مقام

---

(١) ص ٣٨ .

مقالا . وذلك الأزعر ، إدلالاً منه بمقدرته على الإتيان بهذه الغرائب المضحكة ، قد وضع ، عقب كل لفظ من الألفاظ الثلاثة ، شَرْحَه بين قوسين كعادته الـمُسْتَوْخَمَة . وهو استعراض مَرَضِيّ ينمّ على فقر صاحبه فى اللغة ، وإن ظن أنه يداريه بهذه الألاعيب الطفولية ، شأنه شأن العريان الـ ... ، ويجب التجميز! وهو ، فى هذا ، يقلّد الأستاذ محمود شاكر ، ولكن أين الثَّرَى من الثُّرَيّا ؟ وأين النكروش من الفحل الهدّار ؟ لقد كان شاكر عالما يغوص باقتدار فى بحر اللغة الزخّار ، أما ذلك النكروش القابع مستخفيا فى الظلام فلاصقٌ بوجعائه فى الطين . ثم إن شاكرا كان لا يذهب هذا المذهب الاستعراضى البهلوانى ، إذ لم يكن يورد من الغريب إلا ما كان له نكتة بلاغية ، فضلا عن أن غريبه دانى القطاف خفيف على القلب ويأتى فى جوّ أسلوبى رائع ، فكأنه مُجَاج النحل ، أما عبارةُ « مهتلس العقل هجزع ذو زعارة » وأمثالها فَتَتَفَحُ برائحة نتنة خبيثة تدل على أن مَخْرجها ومَخْرج العَذِرة واحد !

أما قوله مرارا : « الأيْئة » عِوَضا عن « الهيئة » فلست أستطيع أن أجد لها تفسيرا إلا أنه قد ارتدّ « نُونُو » لا يقدر على نطق الهاء ،

«يحميه ربى من الحاسدين» كما كانت تقول الحاجّة شادية قديما فى أغنيتها المشهورة !

ومن دواهى جهله الأطمّ قوله ، عند كلامه عن الرسول الكريم وحُسْنِ منطقه وفصاحة لسانه ، إن ميسرة قد تحدث إلى خديجة عن « رهافة مِذْرب محمد »[1] ، يقصد رهافة لسانه صلى الله عليه وسلم . أفلم يجد إلا كلمة « مِذْرب » ، التى تدل معظم اشتقاقات مادتها على سلاطة اللسان والبذاء ؟ إن من المقبول جدا بل من اللائق تماما أن يقال عن هذا المبشر السفيه الذى حرمه الله من حسن اختيار اللفظ إن له « مِذْرَبا » يَذْرَب به ويَسْلَح ، لأنه فى الواقع ليس له فى وجهه فم كسائر عباد الله بل استٌ يَضْرط بها ويَخْرأ ، أما سيّد الخلق فشىء آخر . والكتاب بَعْدُ مفعم بهذه الاستعمالات السخيفة الباردة ، ولكن يكفى هذا ، وإلا فلن ننتهى .

والآن إلى غثاثاته فى مجال الترادف ، وهذه بعض أمثلة عليها لا غير : « فَلْنَدَعِ الكذب والتزييف والدَّخَل جانبا ، ولنقدِّم فرضا آخر ، وهو أن أحدهم أو بعضهم أخطأ فى الفهم أو تسرّع فى الاستنتاج أو

---

(١) ص ٢٨٣ .

شطّ فى التقدير ففهم السكوت موافقة ، والتريث إجابة ، والتمهل قبولا ، فإن باقيهم لا يُعْقَل أن يجيئوا على هذه الشاكلة أو ينسجوا على ذات المنوال أو ينهجوا نفس الطريق » [١] . فانظر كم مرة فى هذه الأسطر القلائل قد افتعل الترادف افتعالا دونما أدنى ضرورة ! «لم تر جزيرة العرب له مثيلا ، ولم تشهد له ضريبا ، ولم تعاين له شبيها أو ندّا» [٢] . « وهذا محض الخطإ ، وأُسّ الخطَل ، وجرثومة الانحراف ، ومعدن البطلان ، وركيزة الفساد » [٣] . « أوقع السابقين واللاحقين والخلف والسلف فى هذا المرج ، وساقهم إلى هذا الخلط، ودفعهم إلى هذه الخربقة » [٤] . « لا يمارى فيها إلا شَكِس ، ولا يعارضها إلا مناكف ، ولا يشكك إلا معاند ، ولا يقدح فيها إلا لجوج ، ولا يعيبها إلا يَلَنْدَد » [٥] . آمنت بالله ، الذى لا تنقضى عجائبه والذى أرانا فى آخر الزمان كيف أن الاست الذى لم نكن

---

(١) ص ٦٥ .

(٢) ص ١٢١ .

(٣) ص ٢٥٩ .

(٤) ص ٢٩١ .

(٥) ص ٣٧٦ .

نعرف له من وظيفة إلا أنه يضرط ويَخْرأ قد أصبح وأضحى وأظْهَرَ وأمسى وبات وصار يتكلم ويأتى بهذه الدُّرَر . أقصد « العُرَر » . والأمثلة أكثر من الهم على القلب ، إذ لا تخلو منها فقرة بل لا تكاد تَعْرَى عنها جملة إلا فى الشاذ النادر .

ولكن كيف يستقيم هذا التحذلق بغرائب اللغة مع الجهل بقواعد النحو والصرف التى تفضحه الأمثلة القليلة التالية ؟ : « بَيْدَ أنه فتى يفيض شبابا وقوة وحيوية وسيما قسيما » (١) (وصوابها : «وسيم قسيم» لأنهما النعتان الثانى والثالث لـ « فتى » ، أما النعت الأول فهو « يفيض شبابا ... ») ، و « يقع ... تحت تأثير عمّاته ...، إذ تُعْلِنَّ له : ... » (٢) (وصوابها « يُعْلِنَّ » ، وهى غلطة لا يقع فيها إلا من سكَّر الله بصره عن قواعد لغتنا الجميلة) ، و «ينجح أصدقاؤه فى إثنائه عن عزمه»(٣) (وهى كسابقتها تدل على جهل مطبق بلغتنا العبقرية ، فالجهلاء هم وحدهم الذين لا يستطيعون التمييز بين « ثَنَى » ، أى « طَوَى » أو « ردَّ » وما إلى ذلك ، وبين

(١) ص ٢٥ .

(٢) ص ٥٤ .

(٣) نفس الصفحة .

«أُثنَى» ، أى أشاد بذكر المحاسن) ، و « لا تعْصِى له أمرا (يا فلان) »[١] (وصوابها : « لا تَعْصِ » بحذف الياء من آخر الفعل على البناء للأمر) . وفى الكتاب من هذه الأخطاء الفاضحة الكثير !

على أن المبشِّر الجاهل المستخفى ، بدلاً من الاشتغال بستر سوأته درءًا لمزيد من الفضائح أو على الأقل بدلاً من السكوت خزيا ، يرفض إلا أن يزداد نصيبه من الخزى والعار ، فهو يسعى إلى حتفه بحوافره فيتخذ سَمْتَ العلماء الذين يتتبعون أخطاء الكُتَّاب ليصوّبوها محاولاً أن يصنع صنيعهم قائلا إن صواب عبارة « هل كانا مَذْهَبَيْن أو أنهما كانا جناحين ؟ » هو « كانا جناحان »[٢] . وهذا الجهل الأعمى يتبدى أيضًا فى قوله فى الصفحة التى تلى ذلك : « والفِرْقة بأسرها تعتبر فى نظر بولس وتُبعه هراطقة ومارقون » (بدل « مارقين » لأنها معطوف على المفعول الثانى لـ « تُعْتَبَر ») ، وكذلك فى الجملة التالية الموجودة فى الصفحة التى بعدها : « هذا ما يؤكده علماء الفرنجة المدققين فى تواريخ الأديان » (بدلا من « المدققون » ، التى

---

(١) ص ٢٥٢ .

(٢) ص ١٧٥ .

هـى نعتٌ لـ « علماء الفرنجة » المرفوعة على الفاعلية) ، وكذلك أيضًا فـى قوله : « ما لك مسرع ؟ ما له مسرور ؟ » [١] (بدلا من «ما لك مسرعا ؟ ما له مسروراً ؟ » بالنصب على الحالية) .

وكيلا نطيل على القارئ أسارع فأختم بالتنبيه على هذا الخطأين اللذين يدلان على أن صاحبنا قد بلغ من الجرأة الجاهلة مبلغا لم يصل إليه أحد قبله ، ولا أظن أحدا بعده سوف يصل إليه فى أى يوم من الأيام . إنه يقول عن عبادة بعض العرب للأشجار : « وقد درج عرب ما قبل الإسلام على تقديس الأشجار بل تعبُّدهم إياها » [٢] . وواضح مدى فُحْش الجهل فى استخدام كلمة « تعبُّد » ، التى لا تعنى فى هذا السياق إلا أن العرب كانوا يتخذون الأشجار عبيداً لهم أو كانوا يدعونها لعبادتهم . وهذا شيء مختلف بل مناقض لما قاله المتشدق البغيض .

كما يقول عن خديجة رضى الله عنها إنها قد « تيقنت ... علي بَكْرة أبيها بنفسها من فصاحة محمد صلى الله عليه وسلم أيام أن

(١) ص ٣٢٢ .

(٢) ص ٢٤٧ .

كان يشتغل فى تجارتها قبل أن يتزوجها »[١] . فهل مَنْ يدلنّى على معنى عبارة « على بكرة أبيها » هنا ؟ إننا نقول مثلا عن جماعة من الناس : « جاؤوا على بكرة أبيهم » ، أى جاؤوا كلهم لم يتخلف منهم أحد ، أما أن يقال عن شخص واحد إنه « جاء على بكرة أبيه » فهذا هو البَلَه بعينه . فإذا جئنا إلى قول صاحبنا عن خديجة رضى الله عنها إنها قد « تيقنت ... على بكرة أبيها بنفسها ... » فهذا بكل تأكيد شىء وراء البَلَه والعتَه لا أعرِف كيف أسمّيه لأن أصحاب اللغة لم تمرّ عليهم مثل هذه الحالة العقلية فلم يضعوا لها لفظا يدل عليها .

والكتاب ، فضلاً عن هذا ، يفيض بقلة الأدب والوقاحة المجرمة التى لم يصادفنى مثيل لها من قبل . وهذه الوقاحة عنوان على ما فى قلب الكاتب المستخفى وراء غيره من غِلٍّ غَلِيل على الإسلام ورسوله ورموزه الكريمة . وأرجح الرأى عندى ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، أن هذا غلٌّ تبشيرى ، فلست مستطيعا أن أتصور أى منتسب إلى الإسلام يمكن أن تواتيه نفسه على هذا الإجرام الذى تخطّى كل

---

(١) ص ٢٨٣ .

الحدود والسدود ، إذ لماذا يكره محمدا من تلقاء نفسه من يَنْتَسِب إلى دينه حتى لو كان في الحقيقة كافراً به ؟ لنقرأ معًا هذه السفالات والبذاءات ، وليغفر الله لنا :

- « هذا الكتاب يقدم رؤية جديدة نزعم أنها غير مسبوقة لحل هذا اللغز الذى ملأ الدنيا وشغل الناس »[(١)]. يقصد باللغز نبوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاعلا منها مجرد فزورة سوف يتسلى « نيافته » بحلِّها ، وهى التى قلبت موازين التاريخ والحضارة ومسيرة البشرية ، فيأتى هذا المأفون ويسميها « لغزاً » .

- « بدأنا مع محمد قبل أن يلتقى أبوه بأمه ، ثم وهو جنين فى بطن أمه ، ثم صاحبناه ليلة مولده ، ثم وهو مولود ثم طفل ثم صبى ثم شابٌ حتى التقطته سيدة قريش »[(٢)]. فانظر السفالة التى يتحدث بها الكاتب الوقح عن سيد الأنبياء وكأنه صبى متشرد يهيم على وجهه فى الشوارع دون أهل أو مأوى . أهذه لغة يُتَحَدَّث بها عن مثل محمد عليه السلام حتى لو لم يكن نبيا رسولا ؟ إن المسألة هنا

---

(١) ص ١٨ .

(٢) نفس الصفحة .

ليست مسألة كفر وإيمان أو حرية فكر واعتقاد بل مسألة غِلٍّ وبذاءة وقلة أدب ! ولا أدرى ما الذى أصاب المسلمين فأضْحَوْا يتقبّلون قراءة مثل هذا الكلام دون أن تميد بهم الأرض مَيْداً ! أليس هناك رجال شاربون من ثدى أمهم يغارون لمحمد وكرامة محمد وعِرْض محمد ؟

- « إن هاجس قيام شابة بِكْرٍ أو ثيِّبٍ مثلها فى بَكّة أو ما حولها بنّشل الحبيب المصطفى ونكاحه أرّق خديجة وطيّر النوم من عينيها الاثنتين» [1]. إننى لا أصدّق عينى وأنا أقرأ هذه الألفاظ الشوارعية التى لا تجرى إلا على ألسنة النشالين والحشاشين وأشباههم . ومثل ذلك قول الكاتب قبل قليل على لسان خديجة عن محمد عليه السلام : « مِنْ ألزم اللازم أن أنكحه بل وأسارع حتى لا تنتشه منّى إحدى عذراوات أو أيامى قريش » . أفى سيرة للنبى عليه السلام نحن أم فى غُرْزَة حشيش بين جماعة من البلطجية والقوادين والقرّادين وشرّاطى الجيوب ؟

- « تبيّن لنا أن سيدة قريش (أى خديجة) جفّ ريقها وحفيت قدماها وداخت السبع دوخات ... حتى وافق إمام الأولين والآخرين

---

(١) ص ٣٨ .

(يشير إلى سيدنا وسيّده وسيّد آبائه وأجداده رغم أنهم لا يستحقون هذا الشرف) على خِطْبتها فنكاحها »[١] .

- « إن هذا الحشد القوى والتجييش المضاعف والتعبئة المخططة من قِبَل سيدة النساء إزاء البشير النذير وهذا الحصار المحكم له حتى رفع الراية البيضاء وسلّم لها بطلبها ورضى أخيراً بنكاحها إياه ... لذلك كله علة مفردة لا توأم لها ، وهى أنه القادم الذى طال انتظاره »[٢] .

- « إن سيدة قريش حينما تُضَاعِف الجُعْل أربعة أضعاف لمحمد فإنها بذلك تُبَلْسِم ما قد يعتور قلب محمد من ندوب ... عندما تطير منه أم هانئ لمّا تفلح سيدة قريش فى نكاحه »[٣] . ودعنا من الاستخدام الجاهل للحرف « لمّا » مع المضارع بمعنى « عندما » ، ولنركّز على هذه اللغة الشوارعية !

- « أما من جانب الخاشع (أى محمد ، استهزاءً به صلى الله عليه وسلم كما سيتضح فورا) فلا شك أن القارئ لم يفته أنه أصبح

(١) ص ٣٩ .

(٢) ص ٤١ - ٤٢ .

(٣) ص ٤٨ . وأم هانئ هى أخت على بن أبى طالب ، وكانت هناك نية فى أن يتزوجها الرسول عليه السلام فى شبابه ، ولكن لم يتمّ الأمر .

مثلا فاذا في المطاوعة والملاينة : « اجلس على فخذى » ، يجلس. « تعال في حجرى » ، يأتي . «ادخل بين قميصي وجسدى» ، يدخل » . وهذا له دلالة لمن لديه ذرة من زكانة أو مُسْكَة من فطانة على أن الخاضع غداً ينظر إلى زوجته نظرة الابن إلى أمه الحبيبة الذى يرى سعادته في برِّها ومهاودتها وأن ما تأمر به واجب النفاذ العاجل لأن الوالدة الحنون لا تشير إلا بكل ما هو في صالحه ولفائدته حتى ولو لم يعرف كنه الطلب ولا مغزى الأمر »[1]. كيف يسكت المسلمون يا إلهى على هذه الإهانات لنبيهم ؟ هل أصبح يجرى فى عروقهم ماء بارد بدلا من الدم الحار الذى يغلى فى عروق كل من عنده ذرة من كرامة وكبرياء ؟ هل بلغ بهم الهوان أن أمسى كل من هبَّ ودبَّ يبول عليهم ويتبرَّز وهم متبلّدون لا ينبض فيهم عرق ؟[1]

- « وفى وقت من الأوقات اجتمع محمد بعدد من صحبه فى حجرة عائشة على غَدَاء أو عَشَاء ، فأرسلت زوجةٌ أخرى هى صفية بنت حُيَيّ طَبَقًا فيه طعام . ونظرا لأنها يهودية ومن العِلْيَة بين قومها

(١) ص ٩٣ ـ ٩٤ .

فهى على درجة حضارية أرقى ، ومن ثم تجيد الطبخ »[1] . وبُغْض الإسلام الملتهب هو الذى سوّل للمبشّر النكروش أن ينصر اليهودية على الإسلام ، فاليهودية (متمثلةً فى صفية حسبما توهّم الحاقد الجهول رغم أن صفية ، رضى الله عنها ، قد أسلمت وتبرأت من يهوديتها) أفضل عنده من الإسلام (متمثلا فى عائشة ، التى يلمزها بطريق المخالفة من خلال وصفه لصفية بأنها من عِلْيَة القوم) . يريد أن يقول إن عائشة (التى يسميها بعد أسطر : « بنت أبى بكر » رغبة فى تجريحها لنا نحن الذين نؤمن عن يقين أن ظُفْرا من أظفار قدمها أشرف ألف مرة من رقبة كل علج لئيم بلغ الدرك الأسفل فى النذالة ولؤم الطبع والانحطاط) لا تُسَامِى صفية فى المركز الاجتماعى . يعنى أن أبا بكر الصديق أقل فى نظر الحقير المنحط من اليهودى حُيَىّ بن أخطب عدوّ الله ورسوله، وأن عائشة أقل تحضرا من صفية ، التى تستطيع الطبخ المسبّك بالصلصة والسمن البلدى واللحم على حين أن بنت أبى بكر لم تكن تحسن إلا صنع البصارة بسمن «النخلتين» ! أرأيتم قلة الأدب كيف تكون ؟ على أن الوقاحة الجلفة

(١) ص ٩٨ .

لا تقف عند هذا ، إذ مضى المتطاول السفيه فوصفها بعد أسطر بـ « الزوجة الغندورة »[١] ، وذلك بعد أن عرَّج فى الطريق على أمهات المؤمنين وأتحفهن بلقب « نسوان صاحب النعلين » . وهذا هو الأسلوب الذى يحاربون به الإسلام ! إنه أسلوب المومسات !

- « وهناك أقصوصة أخرى أو أقصوصتان أُخْرَيان ، وهما تعرُّض مَرَّتَين (يقصد امرأتين) هما قتيلة بنت نوفل وفاطمة بنت مر الخثعمية لعبد الله أبى محمد ليركبهما » [٢]. ترى ماذا يمكن أن نقول فى التعليق على هذه البذاءة سوى أن كل إناء ينضح بما «يُفْعَل فيه» ؟

- « وعسى الوقت قد حان لنطرح أمام باصرة القارئ بعضا من شواهد خوارق .... الولد المبروك »[٣] . أتدرى أيها القارئ المسلم مَنْ ذلك الولد المبروك ؟ إنه نبيّك محمد صلى الله عليه وسلم ! فانظر إلى المدى الذى وصلت إليه جرأة أعداء الإسلام فى إهانة نبيك وفى

---

(١) ص ١٠٠ .

(٢) ص ٢٠٦ .

(٣) ص ٢٠٧ .

عقر دارك مصر حارسة الإسلام ! وانظر كذلك إلى البلادة والجمود اللذين نتلقى بهما هذه الإهانات !

- « هى (أى خديجة) تزوجت مرتين أنجبت فيهما أولادا وبنات ، وهو (أى محمد) لم يدخل دنيا »[1]، هكذا بلغة المساطيل !

- « أغْرَقَتْه (أى أغرقت خديجة محمدا) بطوفان حبها وألبسته الحرير وأطعمته الخمير فصار لها عاشقا كما قال . وكيف لا يفعل وهى قد نقلته نقلة لم يحلم بها مجرد حُلْم من عسيف (أى أجير) يكدح من مكة إلى حباشة ومن قرية القداسة (أى مكة) إلى الشام لقاء بَكْر أو بكرين ، إلى واحد من السادة الغطاريف الذين يلبسون أغلى الثياب وأرقها ويتلذذون بأشهى الأطعمة وأحلى الأشربة ، ووكَظَتْه (أى دفعته) إلى التجربة (أى تثقيفه وتدريبه وإعداده لتصنيعه نبيًا)[2] ليرتع فيها على مهل ويمرح على ريث »[3]. هل هناك لؤم ووقاحة وقلة أدب أشد من هذا ؟

(١) ص ٢٨٩ .

(٢) انظر ص ٣٠٣ .

(٣) ص ٣٠٤ .

- « ومن ناحية أخرى فقد ذاق (محمد) الحرمان وكابَدَ المسغبة وكواه الفقر ، فلا يسكُن رُوعَه ويهدِّئ بالَه ويُطَمْئِن نفسه ويريح خاطره سوى أن يوضع المال جميعه بين يديه (أى تضع خديجة كل ما لها تحت تصرفه) »[1]. ترى هل يستطيع أى وغدٍ زنيم أن يقول شيئا من هذا الكلام ، ولو عشر معشاره ، فى حقّ حاكم بلده ؟ إن مثله لا تواتيه الجرأة والصفاقة إلا فى حق الرسول الأعظم لاطمئنانه إلى أنه لا حياة لمن يهينهم ويبصق على وجوههم من المسلمين ، إذ هو يعرف أنهم قد فقدوا كل نخوة فلم يعودوا يغضبون لأى شىء ! أقولها مرة أخرى وبالفم الملآن : « فقدوا كل نخوة فلم يعودوا يغضبون لأى شىء ! » .

- « الذى ترجَّحَ أنه (أى الرسول) فى البداية عَصْلَج (عن التقدم لخطبة خديجة) وامتنع واحتجّ ... إلخ ، ولكن الطاهرة (أى خديجة) بما لها من كَيْسٍ وفطانة ولباقة وتجربة فى معالجة البُعُول استطاعت أن تثنيه عن موقفه ... وتأخذ منه صكّ القبول وشارة الرضى وعلامة الوفاق »[2]. أىّ امتهان يا إلهى لأسمى علاقة زوجية

(١) ص ٣٠٩ .

(٢) ص ٣١٠ .

فى تاريخ البشر ! وما هذه اللغة الوسخة : « عَصْلَجَ . تجربتها فى معالجة البعول . صكّ القبول » ؟ أين نحن يا ترى ؟ وعمّن يتكلم الفَدْم الغبىّ ؟ إن الغلّ التبشيرى لا يتركه ينعم بهدوء أبداً بل يبقيه دائماً متفززا سليط اللسان هجّاما عيّابا غمّازا لـمّازا فى حق الرسول الكريم وزوجته الطاهرة الشريفة اللّذيْن لا يعرف النكاريش الأنتان كيف يتحدثون عنهما بما ينبغى لهما من تجلة واحترام لأن وحل المجارى الذى يعيشون فيه ويأكلون منه قد أفقدهم الحسّ بما يليق وما لا يليق !

- « الذى حاز الثقافة الدينية آنذاك (أى فى مكة عَشيّةَ البعثة النبوية المشرّفة) هم نفر من النخبة القرشية ، أما الآخرون ، وهم العامة الذين يكدّون فى سبيل لقمة عيشٍ جَشب (= خشن) ، فلا يفكرون فيها مجرد تفكير، إذ هى بالنسبة إليهم ترف لا يقدرون عليه. ونحن إذا نظرنا إلى هذا الأمر نظرة عقلانية مجردة لا بد أن نتساءل : أنّى لفتى صغير خرج بالكاد من مرحلة الطفولة واشتغل برعى الغنم ثم لما شبّ قليلا عمل أجيرا تجاريا ببَكْرٍ من الإبل (يقصد الرسول الأعظم)، أنّى له أن يحوز ثقافة دينية أو ثقافة من أى نوع؟» [1] .

---

(١) ص ٣١٨ .

يعنى بالعربى : كان جاهلاً تمام الجهل ، صفحة ذهنه « بيضاء من غير سوء » (كما قال الكاتب الوقح المستخفى بعد ذلك بأسطار) وعاميًا من الأوشاب الذين لا قيمة لهم فهم يرضَوْنَ بما يقدمه لهم مستأجروهم من فتات . إنه ، فى نظر هذا «المركوب» ، ليس أكثر من بائع سرّيح يشتغل بأجر حقير عند إحدى معلّمات السوق الكبار ! وهذا ما عند المبشّرين ومن يشايعهم فى وصف زعيم الرسل والنبيين أجمعين !

- « فَرْدٌ واحد من غير هؤلاء (أى غير ورقة وبحيرا وعداس وسرجيوس) أَسْنَدَتْ إليه هِنْدُوزُ التجربة (يعنى خديجة) دورا صغيرا. حقيقة أنه لا يعدو ما يؤديه كومبارس فى شريط سينمائى ، بيد أنه بكل المقاييس يُعَدّ مشاركة ، ولو أنها عجفاء هزيلة ضامرة ناحلة ... والفرد الذى نعنيه هو أبو بكر بن أبى قحافة »[1]. وهكذا تحولت خديجة رضى الله عنها ، على يد المبشّر اللئيم ، إلى مُخْرِجة أفلام ومسرحيات ، كما تحوّل أبو بكر إلى كومبارس . وليحمد الله ويقبّل يديه ظهرا لبطن لأن الست المخرجة قد عطفت عليه وأظهرته فى فلمها الجديد المسمّى «تصنيع نبى» والذى سيضرب الدنيا ويقلبها

---

(١) ص ٢٤٣ .

رأسًا على عقب وسيحقق إيرادات خرافية . ذلك أنه فِلْم لم يسبق له مثيل كما يبدئ الكاتب ويعيد فى وصف كتابه . إلا أننا لا نستطيع أن نقف مكتوفى الأيدى صامتين أمام هذا التهريج : فلا الفلم غير مسبوق ، ولا هو يستأهل شيئا من هذه الضجة ، لأن المسألة فى الحقيقة لا تخرج عن أن تكون تدجيلا وقحا من النوع الذى يمارسه باعة اللبان الذَّكَر فى الحافلات عندما يصيحون بأن لبانهم يحمّر الخدود ، ويبرم الكعوب ، ويجلو الصدور ... إلخ . وعلى هذا فلا بد من فضحه ، ولكن خطوة خطوة، فاصبر معنا أيها القارئ الكريم .

إن فكرة الكتاب تقوم على أن ورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد قد التقطا محمداً من بين أهل مكة ليثقفاه « ويُصنّفِراه ويُقلّوِظاه ويلمّعاه » (كما يقول المبشّر الحقير الذى وراء الكتاب) كى يصنعا منه نبيا ، إذ شاع وقتها بين العرب وأهل الكتاب أن هناك نبيا قادماً ، فأخذ الجميع ينتظرونه ، لكن ورقة وخديجة سبقا الباقين فاختارا محمدا اختيارا لما سمعا من الكرامات التى كان يقال إنها تحدث له منذ أن كان فى بطن أمه ، وأخضعاه لبرنامج تدريبى قاسٍ يتلخص فى

أن تقرأ له خديجة ما يترجمه ابن عمها ورقة من الإنجيل وتشرحه له وتطلب منه أن يَحْفَظه ثم يعيد تسميعه كما يفعل شيخ الكُتّاب مع تلامذته ، بالإضافة إلى تفريغها إياه من همّ السعى وراء المعاش بوضع كل ما تملك من ثروات طائلة بين يديه يفعل به ما يشاء حتى تكسب قلبه فلا يفكر فى غيرها ، مع دفعه إلى غِشْيان الأسواق والتجمعات التى يرتادها الرهبان والمبشرون من كل دين كى يحتك بهم ويتعلم منهم ما ينفعه مستقبلا فى الوظيفة التى تعده لها هى وابن عمها إعدادا . وهو يؤكد أن ورقة كان قسًا لكنيسة مكة وما يجاورها ، كما كان كثير من أفراد قبيلته بنى أسدٍ نصارى ، ومنهم خديجة رضى الله عنها . ثم يمضى قائلا إنهما قد انتقلا بمحمد بعد ذلك إلى مرحلة أخرى هى مرحلة الوحدة والابتعاد عن الناس بالتحنث فى غار حراء وشَحْنه أثناء ذلك بكل ما يساعده على أن يرى فى منامه الرؤى التى ينبغى أن تَحْدُث للقادم المنتظر ، حتى وقعت الواقعة فعلا ورأى منامَ الغار الذى خيِّل إليه أنه هو النبى الموعود . فعندئذ أعلنت خديجة للعرب ، وهى فى غاية السعادة بنجاحها هذا الذى لم تكن تتوقع رغم ذلك أن يكون بذلك الشكل الباهر ، أنهم هم أيضاً قد أصبح لهم نبى كأهل الكتاب .

والكاتب ، فى أثناء ذلك ، يردّد أن دراستـه هذه هى دراسة جديدة تمام الجدة ، إذ أتى فيها بما لم يسبقه إليه أى كاتب آخر ، وذلك فى غرورٍ وانتفاخ وتعالم لم أعهده فى أى كاتب من قبل [١] .

لكن ما رأى القارئ الكريم إذا قلنا له إن هذا كله تنفُّج كاذب وقح؟ فهذه الأفكار ، وغيرها كثير ، مأخوذة من كتاب صدر منذ اثنتين وعشريـن سنـة (بالضبط فى سنة ١٩٧٩م) فى لبنان بعنوان « قَسّ ونبى » لمن سمّى نفسه على غلاف الكتاب « أبا موسى الحريرى » . والواضح أنه نصرانى ، وإن كنت لا أدرى أهو لبنانى أصيل أم من المبشرين الذين يعيشون فى لبنان أو يترددون عليه . وهذا هو السرّ فى إشارتى التى مرت منذ صفحات إلى ذلك البلد حينما كنا بصدد الحديث عن عبارة صاحب « فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين » الخاصة باهتلاس العقل والزعارة ، فقد أردت بهذه الإشارة إلى أن أُلمِح من بعيد لمن يعنيهم الأمر إلى أننى واعٍ جيداً لعملية النصب والاحتيال التى يقومون بها فى وقاحة بَجِحة ، و « كل لبيب بالإشارة يفهم » كما جاء فى الأمثال !

---

(١) ص ١٨ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ٢٧٩ ، ٣١٥ مثلا .

فأبو موسى الحريرى هذا يؤكد أن الوجود النصرانى فى مكة بل فى الحجاز كله قبيل البعثة النبوية كان كبيرا [١]، وأن وجود صورة المسيح وأمّه بين الصور التى كانت مرسومة على جدران الكعبة وإبقاء النبى عليه السلام عليها يوم الفتح دون سائر الصور شاهد على ذلك[٢]، وأن ورقة بن نوفل كان قسًّا فعلاً لقريش فى كنيسة مكة[٣]، وأن عددا غير قليل من قومه بنى أسد بن عبد العُزّى كانوا نصارى [٤]، وأن نصرانيته رضى الله عنه ليست هى المسيحية التى نعرفها بل كان من فرقة الإبيونيين الذين كانوا لا يعترفون بألوهية عيسى ولا بصلبه [٥]، وأن الإنجيل الذى كان فى يده يطالعه ويترجم منه ليس هو الأناجيل التى نعرفها ، بل هو « الإنجيل بحسب العبرانيين » ، الذى كانت جماعة الإبيونيين لا تعرف غيره ، وهو إنجيل متّى مطروحًا منه الفصول التى تتحدث عن ألوهية عيسى وما

(١) ص ١٧ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) ص ١٨ ، ٣٠ .

(٤) ص ١٦ .

(٥) ص ٥ ـ ٦ ، ١٩ ـ ٢١ ، ١١٢ ـ ١١٥ .

إلى ذلك مما لم يكن أولئك القـوم يعتـقـدونه فى المسيح عليـه السلام[١] ، وأنه هو الذى عقد قِرَان النبى صلى الله عليه وسلم على خديجة ، رضى الله عنها وأرضاها ، وألقى خطبة النكاح بوصفه كاهنا يقوم بطقـوس الزواج النصرانيـة لا بوصفـه مجرد قريب للعروس[٢] ، وأن خديجة كانت آنذاك على دين النصرانية وكذلك محمد عليه السلام [٣] ، الذى كان يدرك تمام الإدراك أنه لا يستطيع تطليقها أو التزوج عليها بأخرى طبقا لما تقضى به قوانين الكنيسة فى أمور الزواج [٤] ، وأن ورقة هو مُرَتِّب هذه الزيجة التى كانت شيئا غريبا على المجتمع العربى لمصادمتها للتقاليد [٥] ، وأنه أيضًا هو الذى درّبه على التأمل الروحى والصلاة فى غار حراء وتولّى إعلان نبوته على العرب [٦] ، فهو الأستاذ الذى علّم وأرسى الدعائم ، ومحمدٌ التلميذ الذى سمع وتعلّم وشيّد البنيان ، أو بعبارة أخرى هما المربِّى والربيب :

---

(١) ص ٢١ ، ٢٧ ـ ٢٩ ، ٣٤ ، ٦٩ ، ٧١ ـ ٨٢ ، ٨٦ ، ١٤٣ .

(٢) ص ٣٠ ، ٣٨ .

(٣) ص ٣٨ .

(٤) ص ٣٩ .

(٥) ص ٣١ ، ٤٠ .

(٦) ص ٣١ .

فالقسّ نقل كلمة الله من العبرية إلى العربية ، والنبى قام بتبليغها إلى قومه بالعربية [١] ، وأن القسّ الأستاذ رغم هذا كان حريصا على التوارى فى الظل خلف تلميذه بعيدا عن أنظار التاريخ [٢] ، وأن النبى التلميذ قد تفوق على أستاذه لما كان يتمتع به من ذكاء وعنفوان وجرأة وتجرد وإقدام [٣] ، وأنه عليه السلام قد عمل على أن تجىء رسالته مناسبة لظروف البيئة والمجتمع [٤] ، وأنه ليس هناك فى الحقيقة وحى سماوى بل مجرد تلقين بشرى من القس للنبى ، فهو وحى أرضىٌ القسٌ فيه هو أداة توصيل الرسالة لا جبريل ، إذ الإنسان كائن مختار لا آلة صماء تبلّغ ما يأتيها من السماء كما هو دون أن يكون لها دور تؤديه [٥] ، وأن القَسّ وبنت عمه قد تعاونا بما لهما من خبرة ودهاء وجاه ومال على إعداد محمد للرسالة القادمة وتدريبه وتهيئته باطنيا من خلال قراءة الكتب الدينية وتفسيرها له وخلوة ورقة معه

---

(١) ص ٦ ، ٨ .

(٢) ص ٨٦ .

(٣) ص ٦ ، ٦٣ .

(٤) نفس الصفحة .

(٥) ص ٧ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ١٨٦ .

شهرا كل عام فى غار حراء حيث يصليان ويتأملان [١]، وأن هذه الخلوة لم تكن غريبة على طبيعة محمد ، الذى كان يميل إلى العزلة والابتعاد عن الناس فى حياته قبل ذلك [٢]، وأنه اقتدى فيها بخلوة موسى وإيلياء (على جبل حوريب) ويحيى (فى بريّة الأردن) وغيرهم من الآباء الأولين [٣]، وأن محمدا كان عاريا عن أية ثقافة دينية إلى أن التقى بورقة ، الذى ثقفه ودرّبه وربّاه وأعده كى يكون نبيا [٤]، وأن عددا من كُتّاب السيرة قد جَمْجَمُوا بعلاقته بالقس ، وإن عملوا فى ذات الوقت على إخفاء الدور الذى نهض به الأستاذ فى تصنيع تلميذه[٥]، وأن واقعة غار حراء لم تكن إلا رؤيا فى المنام لا حقيقة لها فى الواقع[٦]، وأن الوحى قد فتَرَ مدةً غِبّ وفاة ورقة بما يدل على أنه هو مصدر الوحى لا السماء ولا جبريل [٧]، وأنه إلى جانب ورقة

---

(١) ص ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ .

(٢) ص ٤١ .

(٣) ص ٤٣ .

(٤) ص ٤٩ .

(٥) ص ٥٢ .

(٦) ص ٥٥ .

(٧) ص ٣١ ـ ٣٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٩٤ .

كان هناك خديجة وبحيرا وأبو بكر [١]، كما أن الرهبان المذكورين في كتاب «قسّ ونبي» بصفتهم أصحاب دور مؤثر في حياة محمد هم هم الذين ذكرهم صاحب كتاب «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين» [٢] كقُسّ بن ساعدة وبحيرا وعداس وغيرهم، بالإضافة إلى اتكاء الكتابين إلى حد بعيد على «السيرة الحلبية» ذات الصبغة الشعبية الواضحة والروايات الغريبة والمبالغات العجيبة التي لم ترد في الأحاديث النبوية أو كتب السيرة المبكرة مما لا تطمئن إليه عقلية الناقد المدقق. الشيء الوحيد الذي يمكن أن يميز بين الكتابين هو أن الكتاب الأخير يعطي لخديجة دوراً في توجيه محمد وإعداده وتصنيعه ليكون نبيا أكبر مما يعطيه إياها الكتاب الأول. وبالمناسبة فكلا المؤلفين يؤكد أن ما أتى به هو شيء جديد لم يسبقه إليه سابق، وإن كان الحريري يقول ذلك دون طنطنة أو ثرثرة [٣].

وبالمثل فإن مصطلح «الماورائيات» الذي تَشْغَف بِلَوْكِه الكتب

---

(١) ص ٥٣، ٦١ ـ ٦٢، ٦٤.

(٢) ص ٢٥ ـ ٢٦، ٥٧.

(٣) ص ١٢٢.

التى تحمل اسم « خليل عبد الكريم » (وهو مصطلح لا أذكر أنى وجدته عند غيره من الكتاب المصريين أو العرب) موجود كذلك فى كتاب الحريرى [١] . وهناك أيضاً مصطلح « التيولوچى » (بالتاء فى كل المواضع التى ورد فيها من كتاب « فترة التكوين ») [٢]، وقد كانت الكتب السابقة التى تحمل اسم خليل عبد الكريم تكتبها بالثاء حسب النطق الإنجليزى لها، فخمّنت (قبل أن يقع فى يدى كتاب «قسّ ونبى») أن تكون بين الأيدى التى وراء الكتاب الجديد يدٌ استشراقية أو تبشيرية فرنسية، فلما حصل فى يدى كتاب أبى موسى الحريرى ووجدت التشابه الرهيب بينه وبين كتاب « فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين » لفت نظرى فيه أن كل مراجعه الأجنبية تقريبا بالفرنسية ، ومن بينها كتاب دانييلو المسمّى " Théologie du Judéo - Christianisme " فعضّد ما كان قد قام بنفسى مِنْ ظَنٍّ بهذا الشأن [٣] .

وهذا التشابه الرهيب بين الكتابين هو سبب آخر ينضاف إلى الأسباب السابقة التى أنبتت حَسَك الشكّ فى صدرى تجاه نسبة

---

(١) ص ١٤٩ ، ٢١٥ .

(٢) ص ٢٧ ، ١١١ ، ١٨٤ مثلا .

(٣) انظر ص ٢١ ، ٢١٩ حيث يذكر المرجع الفرنسى المشار إليه .

الكتب التى تحمل اسم « خليل عبد الكريم » إليه . فالذى فى الكتاب المنسوب إليه هو نفسه ما فى الكتاب الذى يحمل اسم «أبى موسى الحريرى» مع اختلاف بعض التفاصيل هنا وهناك مما لا يؤثر فى فكرة الكتابين الرئيسية وخطوطها العامة كلها . وتفسيرى للأمر هو أن هناك جهة واحدة وراء هذين الكتابين وزّعت الأدوار بحيث يبدو وكأنهما من تأليف شخصين مختلفين وصلا إلى ما قالاه، كلٌ من طريقه هو وبمنهجه هو دون أن تكون له صلة بالآخر . وهو كلام إن جاز على القارئ العادى الخالى الذهن من مثل هذه الألاعيب والترتيبات فإنها لا تروج عند الباحثين المدركين لأبعاد قضايا الصراع الحضارى والمؤامرات التى لا تكفّ عن غزلها ونسجها وحَوْكها المؤسسات المعادية للإسلام ، وعلى رأسها مؤسسات التبشير والتنصير . ومن الواضح وضوح ضوء الشمس فى حَمَارّة القيظ أن كِلا الكتابين يحاول أن يُدْخِل فى رُوع القارئ المسلم أن محمدا ما هو إلا صنيعةُ أيدٍ بشرية نصرانية وأنه لم يأت بأى شىء جديد ، ولا علاقة له بالسماء ولا بالوحى الإلهى . وبالنسبة للكتاب الذى يحمل اسم «خليل عبد الكريم» فسوف يلاحظ القارئ أن فيه بعض الهجوم الذى لا قيمة له على أتباع الكتاب المقدس وبعض شخصياته ، لزوم

الشُغْل حتى تجىء الطبخة أكثر سبكا وأفوح بالروائح التى تتحلب لها الأشداق كقوله مثلا عن سيدنا يوسف : « الفتى الحليوة »[1]، وكهجومه على بولس واتهامه له بإفساد النصرانية[2] . وهى إضافات لا تغضب المؤسسات المذكورة فى شىء ، فهى موجهة إلى المسلمين لا إلى أهل الكتاب ، والتاجر المضرَّس هو الذى يغرى عملاءه ببعض التخفيضات والتضحيات والخسائر البسيطة بغية كسب ثقتهم المطلقة وتخديرهم وتطويعهم لما يريد بعد ذلك . فهم فى ذلك كما قال المثل العربى القديم : « أوْسَعْتُهم شَتْمًا ، وفازوا بالإبل » ، إذ ماذا يفيد صاحبَ الإبل المسروقة إذا أشبع سارقيها شتما ما داموا قد استولَوْا عليها ورحلوا بها ؟

ومما يجعلنى أستبعد أيضا تأليف خليل عبد الكريم لهذا الكتاب ما فيه من تصورات ومفاهيم ومصطلحات كتابية غربية لا تعرفها العقلية التى تربت فى جو إسلامى حتى لو أصبح صاحبها كافرا بمحمد ودينه ، مثل تسمية أنبياء بنى إسرائيل بـ « البطاركة /

---

(١) ص ٣٨٤ .

(٢) ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

البطارقة) أو بمرادفها العربى : « الآباء الأولين » . وقد تكرر هذا كثيرا بصورة عجيبة [١] . ومن ذلك أيضًا تسميته إبراهيم ويحيى عليهما السلام بـ « أبراهام ويوحنا » [٢] ، وهى من الدقائق التى فاتت مَنْ وراء الكتاب أن يتلافاها فيستبدل بالاسمين المذكورين صيغتيهما العربيتين . ومثل ذلك اسم « ملاك الربّ » ، الذى تردد كثيرا فى الكتاب [٣] ، وهو مصطلح نصرانى لا يمكن أن تخطئه العين ولا الأذن !

كذلك رأينا المؤلف ينحاز دون أدنى داع إلى صفية ضد عائشة (رضى الله عن الاثنتين ، ولعن العِلْج السمج الذى يتطاول إلى التدخل بينهما) رافعا الأولى وقومها اليهود إلى عَنان السماء ، ولامزًا الثانية لمزًا يظن أنه يسىء إليها ويحقر من شأنها هى وأبيها والعرب والمسلمين أجمعين ، وهو ما لا يمكن أن يخطر فى بال أى شخص

---

(١) ص ٩٦ ، ١٤٤ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٣٧٠ على سبيل المثال لا غير .

(٢) ص ٢٨٢ .

(٣) ص ١٥٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٣٠ ، ٣٤٩ ، ٣٧٩ ، ٣٩٠ على سبيل التمثيل ليس إلا .

ينتسب إلى الإسلام مهما يكن موقفه الحقيقى من هذا الدين ، إلا إذا وقع تحت وطءِ عنيفٍ لا قبل له به !

ومن هذا الوادى أيضًا استعماله مرارًا لكلمة « أبرشية » [١] ، حيث يزعم أن مكة كانت بها أبرشية نصرانية ، وهى كلمة غير معروفة إلا فى البلاد الغربية ، ومن ثم فلا يستخدمها حتى النصارى العرب . ومن فلتات القلم الفاضحة فى الكتاب أيضًا لفظة «الامرأة»[٢] ، التى لا يستخدمها على هذا النحو إلا بعض المستشرقين والكُتّاب النصارى فى لبنان ، أما فى مصر فلا نُبْقِى على همزتها إلا فى حالة التنكير ، فإذا أدخلنا عليها « أل » حذفنا هذه الهمزة . ومن الأمارات كذلك على أن هناك أيديًا كتابية وراء هذا الكتاب تكرُّر الاستشهاد بالكتاب المقدس فى مسائل الرؤى الدينية والوحى وما إلى ذلك باعتباره الفيصل فى الموضوع [٣] ، والقول بأن خلوة محمد فى غار حراء هى تقليد يهودى نصرانى أخذه عليه السلام عن خديجة

---

(١) ص ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ٣٣٧ مثلا .

(٢) ص ١٢٤ .

(٣) ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ، ٣٦٨ مثلا .

عن ورقة عن التوراة والإنجيل [١]، وكذلك اختصار اسم « سفر إشعياء » مثلا إلى « إش. » ، على عادة أهل الكتاب ، بخلاف المسلمين ، الذين يذكرون الاسم فى مثل هذه الحالة كاملا [٢]. ومن هذه الأمارات أيضًا تحسُّر مؤلف الكتاب على دخول الإسلام مصر ، وتسميته فتّحَ عمرو بن العاص لمصر استعماراً عربيا استيطانيا أتت فى ركابه قبائل كثيرة دهست صعيد مصر ، واتهامه له رضى الله عنه بأنه «فعل الأفاعيل هو وجنوده بمصر المحروسة عكس ما يزعمه حملة المباخر من المؤرخين المحدثين »[٣]. فهل يعقل أن يقول خليل عبد الكريم ذلك ، وهو المنحـدر من هؤلاء العـرب الذين لولا الفـتح الإسلامى المبارك لأرض الكنانة ما فكروا أصلا فى المجىء إلى مصر المحروسة ؟ أم هل كانوا سيأتون حبًا فى العجل أبيس وعبادته ؟ لقد كان عندهم من الأصنام والأوثان ما يغنيهم عن كل العجول ؟

ثم إن النَّفَس التبشيرى الصليبى النتن ليهب علينا أيضًا من خلال السطور التى تهاجم د. عبد الحليم محمود وتحاول الاستهزاء به والإقلال من شأنه [٤]. ذلك أن الشيخ المبجَّل ، عليه رحمة الله ،

(١) ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ، ٣٨٤ .

(٢) ص ٣٥٦ .

(٣) ص ٤٧ .

(٤) ص ١٧٩ ، ٢٨٨ ، ٣٩٢ مثلا .

قد ترجم مثلا كتاباً من الفرنسية عن المسيحية يفضح عوراتها ويتتبع بالتوثيق العلمى ما لحقها على مدى تاريخها الطويل من عبث وتزييف . فهذا هو السبب فى أنْ حَظِىَ هذا العالم الجليل من مؤلف الكتاب بالتطاول على شخصه الكريم ، مع أن ذلك المبشّر الجبان لا يتسامى إلى مقام حذاء الشيخ ، الذى كان من أشجع من عرفتْ مصرُ من مشايخ الأزهر وأنبلهم وأخشاهم لله ، رحمه الله وأسكنه عُلْيَا الجنان .

ومن أوجه المشابهات بين الكتابين بما يعضد ما نقوله من أنهما خارجان من بالوعة واحدة هذا التفسيرُ الحلمنتيشى للآيات القرآنية : فعلى سبيل التمثيل نرى المسمَّى « أبا موسى الحريرى » يفسّر قوله تعالى فى سورة « الأحزاب » : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعَدَنا الله ورسوله ﴾ على أساس أن المراد بـ « الأحزاب » فِرَقُ النصارى التى تتصارع فيما بينها حول طبيعة المسيح وصلبه وما إلى ذلك [1]، مع أن الآية إنما تتحدث عن أحزاب المشركين الذين تجمعوا من كل صوب لمحاربة النبى وأتباعه فى غزوة الخندق كما لا

---

(١) ص ٢٠ .

يخفى إلا على جاهل حقود قد جعل الله فى أذنه وقلبه وَقْراً ، وعلى عينه غشاوة ! وبالمثل نراه يشرح قوله تعالى من سورة « المائدة » : ﴿لستم على شىء حتى تُقِيموا التوراة والإنجيل وما أُنْزِل إليكم من ربكم﴾ بأن الخطاب فيه موجه إلى المسلمين وأن القرآن يطالبهم بالعمل بالتوراة والإنجيل والقرآن جميعا لا بالقرآن وحده [1]. وهذا العِلْج الخبيث قد اقتطع من صدر الآية عبارة «قل : يا أهل الكتاب» ، التى تدل دلالة قاطعة لا مجال معها للعبث التبشيرى الدنس على أن الحديث فيها موجه لليهود والنصارى لا للمسلمين . وعلى نفس النهج الشيطانى يتناول قوله تعالى فى الآيات التالية : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون ﴾ ، و ﴿ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ ، و ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ قائلا إنها تتحدث عن رهبان النصارى وقسّيسيهم [2]، مع أنه لا صلة بينها وبين الرهبان والقساوسة على أى نحو من الأنحاء ، إذ الحديث فيها عن المؤمنين من أتباع محمد ليس غير . وهذا من

---

(١) ص ١١٧ .

(٢) ص ٢٠٤ .

الجلاء بحيث لا يمكن أن يفسّرها بغير ذلك إلا وغد لئيم ! وغير ذلك كثير . وواضح ماذا يريد أن يقول هذا المبشر . ولسوف نرى فيما يلى من صفحاتٍ مِثْلَ هذه التفسيرات البهلوانية فى الكتاب الموضوع عليه اسم « خليل عبد الكريم » .

ثم أخيراً وليس آخرا ينبغى ألا يفوتنا هذا المقدار الهائل من الروايات المستكنّة فى أعماق الكتب القديمة مما جعل المستشرقون وُكْدَهم تقصّيَه واستخراجه بملقاط الغلّ الأسود وشبّك بعضه ببعض شبْكاً متعسفا متمحّلاً والخروج منه بنتائج لا تُسْلِم إليها المقدمات . وقد قلت إن ما نعرفه عن خليل عبد الكريم لا يساعد عقلى على الاطمئنان إلى أنه هو صاحب كل هذا . خذ مثلا عندك أسماء النبى وصفاته وألقابه التى تجاوزت العشرات والتى يحرص مؤلف الكتاب على استخدامها (بدلا من لقب النبوة أو الرسالة) بطريقة استهزائية مثل « الخاشع » و « الخاضع » و « المسعود » و « آكل الشعير » «والمُعْطَى الوسيلة» و « سعد الخلائق و « البهىّ » و « الخالص » و«راكب الأتان » و « صاحب النّعلين » ... إلخ ، إلخ. إن يد الاستشراق والتبشير واضحة هنا أيضًا . وإذا كانت اليد الذى ألفت الكتاب تظن أنها تستهزئ بالرسول الأعظم حين تسميه

« صاحب النعلين » أو « راكب الأتان » مثلاً فإنى أذكّر هذه اليد النجسة الآثمة بأن من البشر أشخاصًا بلغوا الغاية فى السموّ والنبالة تُمْدَح النعال لتشرفها بملامسة أقدامهم كما فعل المقّرِىّ مع نعال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ ألف كتابا عنوانه « فتح المتعال فى مدح النّعال » ، على حين أن ثمة أناسا (أو بالأحرى : بغالا) كهؤلاء المستهزئين بمحمد عليه السلام لا يستحقون إلا الضرب بالنعال ، بل إن النّعال لتشمئز من أن تُصْفَعَ بها وجوههم وأقفاؤهم تحرزا من التنجس بملامستهم . ولعل بعض المؤلفين يضعون لنا فى هذه المسألة كتاباً بعنوان « اشمئزاز النعال من صفع البغال » . ثم ماذا فى ركوبه عليه الصلاة والسلام الأتان أيها الأتنان ؟ ارْعَوُوا وادخلوا جحوركم لا يَحْطِمنكم أحقرُ نَفَرٍ من أتباع محمد بنعالهم وهم منكم مشمئزون !

بعد هذا كله كيف تُواتِى صاحبَ الكتاب الذى نحن بسبيله الآن نفسُه على الذهاب مع الدعاوى العريضة بأنه ابن بَجْدَتها الذى أتى بالفتح المبين فى كشف الوحى المحمدى وسَبَق الأولين والآخرين رغم أن الكتاب مأخوذ من كتاب « قسّ ونبى » إلا ما ليس له قيمة تذكر ؟ بعضا من حُمْرة الخجل أيها الأنجاس المناكيد !

وبعد ، فمسألة الكتب وانتحالها ظاهرة معروفة ، وبخاصة فى

ميدان الكَيْد للإسلام . ذلك أن حَمْل الكتاب الذى يهاجم ديننا اسمَ مؤلف إسلامى أَقْمَنُ أن يكون له تأثير أقوى فى نفوس القراء المسلمين . ولدينا من هذه الكتب على سبيل المثال كتاب « مقالة فى الإسلام »[1] لجرجيس صال (George Sale) أحد مترجمى القرآن الكريم إلى الإنجليزية ، فقد نقله بعضهم إلى العربية فى الثمانينات من القرن قبل الماضى وتسمَّى على الغلاف باسم « هاشم العربى »، وهى (كما ترى) تسمية إسلامية صرف ، ثم تظاهرَ بأنه يريد أن يزيد القراء تعريفا به فوصف نفسه بأنه « نزيل البلاد الإفرنجية حالا » ، فبدلاً من أن يكحّلها أعماها ، إذ ماذا تعنى هذه العبارة إلا مزيدا من الغموض والتحيير ؟ والذى أراه أن المترجم هو أحد أدباء النصارى اللبنانيين فى ذلك الوقت لأن مِيسَم الأسلوب الذى صيغ به الكتاب يقول هذا بأعلى صوته . كما أن المتسمَّىَ بـ « أبي موسى الحريرى » نَفْسَهَ قد أبدى تشككه فى اسم « هاشم العربى » هذا ، إذ وضع علامة استفهام بين قوسين بعد الاسم[2] .

---

(١) هذا الكتاب هو ، فى الأصل ، المقدمة الطويلة التى أثبتها سيل (Sale) فى صدر ترجمته للقرآن بعنوان « The Preliminary Discourse » ، مضافا إليها تعليقات المترجم التى هاجم فيها سيدنا وسيده رسول الله بقلة أدبٍ سفيهة.

(٢) ص ٢١٨ مثلا .

وكلنا أيضًا نعرف قصة الرسالة التى حصل بها منصور فهمى على درجة الدكتورية فى أوائل القرن العشرين من فرنسا والتى صوّب فيها سهام الاتهام الحمقاء إلى الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم تبرأ مما جاء فيها بعد ذلك وعاد إلى دينه كرة أخرى . هذه الرسالة يؤكد محمد لطفى جمعة ، وهو ممن تعلموا أيضًا فى فرنسا فى ذلك الوقت، أن المستشرقين قد أخذوا فهمى إلى هولندا وكتبوها وطبعوها له هناك ، وأن دوره فيها لا يتعدى قبوله وضع اسمه عليها حتى تُروج بين المسلمين ويكون أثرها فيهم أعنف [1].

كذلك أورد د. محمد سيد أحمد المُسيِّر حالة أخرى من هذا القبيل ، وهى كتاب « لماذا القرآن ؟ » (الذى صدر فى ليبيا لمؤلف يدعى د. عبد الله الخليفة) وكتاب « قراءة فى صحيح البخارى » (لمؤلف يدعى د. أحمد صبحى فى الهجوم على السنة النبوية) ، فهما كتابان متشابهان تشابهًا ضخمًا بل يكادان يتطابقان ، ومع

---

(١) انظر رابح لطفى جمعة / محمد لطفى جمعة وهؤلاء الأعلام / عالم الكتب/ ١٩٩١م / ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، ومحمد لطفى جمعة / قطرة من مداد لأعلام المتعاصرين والأنداد / عالم الكتب / ١٩٩٨م / ٢٩ ـ ٣٠ .

ذلك فقد صدر كل منهما فى بلد مختلف ولمؤلف مختلف [١].

فإذا جئنا إلى دراسةِ ما فى كتاب « فترة التكوين فى حياة الصادق الأمين » (الذى بلغنى أن النية كانت متجهة لتسميته «تصنيع نبى» ، بيْدَ أنهم خَشُوا مغبة هذا التهور وآثروا أن يستروه بورقة توت فأعطَوْه العنوان المذكور) ، فماذا نجد ؟ نبدأ أولاً بما فيه من تناقضات بعضها داخلى ، وبعضها مع أفكار تضمنتها الكتب السابقة التى تحمل اسم « خليل عبد الكريم » .

ونبدأ بتناقض موقفه من أُمِّيّة النبى . إنه يبدأ الفصل الأول المسمّى « قيدام » [٢] بقوله : « نحن نؤمن أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يطالع صحيفة أيا كانت المادة المصنوعة منها ولم يمسك قلما ولم يخط بيمينه كلمة ولا حرفا .

---

(١) انظر مقدمة د. المسيِّر لكتاب والده د. سيد أحمد رمضان المسيِّر « السنّة مع القرآن » / دار الندى / ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م / ٢٣ وما بعدها .

(٢) وهو عنوان لا على الفصل وحده بل أيضًا على الخزى والعار اللذين باء بهما الكاتب حين استخدم هذه الكلمة ظنا منه أنها تعنى « القادم » (أى النبى المنتظر) ، بينما هى تعنى « القُدَّام » كما سلف بيانه .

ومع تقديرنا للبُحّاث الذين أجهدوا أنفسهم لإثبات أنه لم يكن أميا بل كان يعرف القراءة والكتابة فإننا نرى أن ما طرحوه لا يعدو أن يكون قرائن لا ترقى إلى رتبة الأدلة » [1].

ويلاحظ القارئ الكريم أن الكاتب يبدأ كلامه بأنه « يؤمن ... إلخ »، وهذا كلام فارغ ، فهو لا يؤمن بأى شيء فى هذه القضية ولا فى غيرها بل مرة يقول بهذا الرأى ، ومرة يقول بعكسه ، أى أنه كالريشة فى مهب الريح . ذلك أنه يعتمد هنا فى القول بعدم معرفة الرسول عليه السلام القراءة والكتابة على وصف القرآن له ولقومه بالأُمّيّة ، أى أن الأمية إنما تعنى عنده عدم القراءة والكتابة [2]. لكن خليل عبد الكريم ، فى أحد الحوارات الصحفية ، يقول بعكس ذلك تماما ، إذ فسّر الأمية الواردة فى القرآن بأن المقصود بها الإشارة إلى الأمم الأخرى من غير اليهود ، أى الأمم التى لم ينزل عليها كتاب سماوى [3]، على حين أن الكتاب الأخير يحمل بعنف على من

---

(١) ص ١٥ .

(٢) ص ١٥ ـ ١٦ .

(٣) انظر الحوار الصحفى الذى أجراه معه أيمن شرف فى صحيفة « الدستور » / ٢٨ يناير ١٩٩٨م / ص ١٦ .

يفسّرون الأمية بهذا المعنى . فأين الإيمان هنا ؟ وما هذه النفخة الكذابة الفارغة فى استخدام ضمير الجمع « نحن » ؟

وبالمثل يجد القارئ فى كتاب « شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ـ محمد والصحابة » ، الذى يحمل اسم «خليل عبد الكريم» أيضًا اتهاما للرسول عليه الصلاة والسلام بأنه كان يحرص على الاطلاع على الكنز المعرفى الدينى الثمين الذى كان فى جُمَّة سلمان الفارسى ليستعين به فى صناعة القرآن [1] . فلماذا يحرص النبى على الاختلاء بسلمان طوال الليل فى بيته صلى الله عليه وسلم إذا كان ورقة وخديجة حسبما جاء فى الكتاب الذى بين أيدينا قد ظلا يعلّمانه ويقرآن عليه الكتب الدينية ويشرحانها له ويستعيدانه ما سمع نحو خمسة عشر عاما إلى أن تأكد لهما أنه قد تمت (كما يقول الكتاب التافه السخيف) بَرْمَجَتُه بما لقناه إياه حتى صار لا يخرم منه شيئا بسبب ذاكرته الحديدية التى لم يكن يفلت منها شىء؟

وفى الصفحة التاسعة عشرة نراه يؤكد أن تجربة تصنيع النبى التى

---

(١) ص ١١٤ من الكتاب المذكور / سينا والانتشار العربى / ١٩٩٧م / ١٤٤ .

قامت بها خديجة وورقة لا تنفى جانبها الغيبى ، إذ لا تعارض بين الأمرين ، لكنه بعد قليل يبين أن الإيمان بالخوارق والمعجزات (التى يسميها مخاريق وشعبذات ، وهى تسمية لها دلالتها المفضوحة التى لا تخفى على أحد) هو جزء من ثقافة البيئة العربية المتخلفة ينبغى أن يؤخذ فى الحسبان عند الكلام عن هذه البيئة . وزادَ فنَفَى فى الصفحة الخامسة والثمانين بعد المائة أن تكون حادثة الغار (وهى الحادثة التى تَوَّجَتْ جهود ورقة وخديجة مع محمد بالنجاح الساحق حسبما يدّعى هذا المبشّر المحترق) من الخوارق بل هى نتيجة المجهود البشرى الذى قام به الاثنان. وهو ، كما ترى ، تناقضٌ فِجٌّ صارخ . ويزيده فجاجةً صراخُ المؤلف المستمر عن موضوعيته ورؤيته العلمية الثاقبة التى لا يَخُرّ منها الماء !

كذلك نُلْفِى الكاتبَ فى الصفحة التاسعة عشرة يصف النبى عليه السلام بأنه كان أمام خديجة ابنًا لينا خاضعا مسالمًا لا يعرف إلا الطاعة والموافقة لا زوجًا مشاكسًا جدلا ، مؤكدا أن هذا النموذج السهل الخَبْتَ هو النموذج المطلوب لإنجاح التجربة التى أرادت خديجة من خلالها تصنيعه صلى الله عليه وسلم نبيا ، ليعود فينقلب على نفسه بعد سطور قائلا إن خديجة كانت تريد ممن يشاركها

التجربة (أى من محمد صلى الله عليه وسلم) أن يصير ضريباً لها فى الحزم والعزم [1] . بل إنه ليُلِحّ على أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يتمتع بعبقرية عجيبة وأخلاق سامية مدهشة وخصائص باهرة لا يتصف بها أى إنسان غيره ، لأنه فذ فريد فى بابه [2] . فمن الواضح أن كلام الكاتب فى هذا الموضوع هو ، رغم الطنطنات والحذلقات ، رجراج سخيف لا قيمة له !

والمؤلف يبدئ ويعيد فى القول بأن ورقة وخديجة قد تعاونا إلى أقصى مدًى بهدف تثقيف محمد (أو « قلّوَظته وصنّفَرته وتلميعه » بلغة المساطيل التى يعجّ بها الكتاب) ، ونحن بدورنا نسأله: إذا كنت أنت نفسك قد قلت إن ورقة أراد قبلا أن يتزوج خديجة لكنه لم يوفّق إلى ذلك ، وإن أخته قتيلة الكاهنة قد حاولت أن يعاشرها عبد الله (والد الرسول عليه السلام) كيما ينتقل إليها النور القدسى الذى كان فى وجهه فصدّها وذهب إلى آمنة زوجته فعاشرها فحملت منه بالقادم المنتظر [3] ، فكيف يمكن أن ينسى ورقةُ هذا كلّه ويمدّ يد

(١) ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) ص ٣٧ ـ ٣٨ ، ١٩٢ مثلا .

(٣) ص ٣٦ .

التعاون إلى خديجة ليصنع من محمد نبيا رغم أنه قد نال هو وأخته على يده ويد أبيه القهر والهزيمة المـُذِلّة ، ما دامت المسألة كلها تدبيرا بشريا لا دخل فيه للسماء ولا للخوف من الله أو الرجاء فى ثوابه ؟ أرجو من أحد العقلاء أن يخفّ لنجدتى فقد احتار دليلى مع هذا المبشِّر المستخفى الذى بلغنى أن بعض الناس قد قال عنه إنه يكتب بيديه ورجليه ، بينما أرى أنا أنه إنما يكتب ، ويفكر أيضاً ، بحوافره !

وقد مرّ بنا فيما سلف من صفحات ما قاله المؤلف فى موضع من كتابه من أن خديجة قد «جَفّ ريقها وحفيت قدماها وداخت السبع دوخات ... حتى وافق إمامُ الأولين والآخرين على خِطْبتها فنكاحها» ، وساقت إلى محمدٍ المراسيل من ذكور وإناث وأحرار وعبيد وموالٍ وأقارب وأباعد ، وظلت تحاصره إلى أن سلّم لها ورفع الراية البيضاء بعد « عصلجة » منه شديدة ورضى أن يتزوجها [(١)] . ولكننا نسمعه فى موضع آخر من ذات الكتاب يعدد الفوارق التى تميز خديجة على محمد فى الحسب والمال والخبرة والثقافة ، ثم يختم قائلاً إن محمدا لم يكن يصدّق أن خديجة ترضى بالزواج منه [(٢)]

---

(١) ص ٣٩ ، ٤١ _ ٤٢ ، ٥١ _ ٥٢ ، ٦٤ _ ٦٦ ، ٣١٠ .

(٢) ص ٢٨٩ .

فبأى الكلامين نأخذ؟ حسبنا الله ، ونعم الوكيل !

ومن تناقضات الكاتب أيضًا تأكيده أن العبيد المكيين النصارى المعاصرين للرسول عليه السلام « كان فى لهجتهم أو لغتهم عجمة ، وفى لسانهم حُكْلَةَ مما يجعلهم عاجزين أو معوَّقين عن نقل ما لديهم من علم . هذا مع التسليم الجدلى البَحْت بأنهم يحوزون علما . وحقيقة أن محمدا ، بما أوتى من فصاحة ورُزِق من بلاغة ونُفِح من لَسَنٍ ومُنِح من ذرابة ، كان فى مقدوره ترجمة ما يتلقاه منهم إلى اللسان العربى المبين . بيّدَ أن المشكلة الكبرى تكمن فى البداية ، وهى صعوبةُ أو عُسْرُ توصيل ما عندهم من معارف إلى محمد . وهذا مُشَاهَدٌ فيمن يريد أن يشرح وجهة نظره بلغة لا يجيدها فيعسر عليه ذلك »[1]. عظيم ، ولكن ماذا نفعل فى النص التالى الذى كتبه المؤلف فى موضع آخر من كتابه والذى يقول فيه عن هؤلاء العبيد أنفسهم : « لا شك أنه دارت حوارات بينهم وبين سادتهم ، وبعضهم بلغ درجة لا بأس بها من الثقافة الدينية مع إجادته القراءة والكتابة ، وتملّك أو حاز نفرٌ منهم إصحاحاتٍ وأبعاضا من الإنجيل

---

(١) ص ١٧ .

... ومنهم من كـان يشـرح لسـادتهم أمـور دينهم وأحـوال بلادهم ويقـصّون عليـهم مـا حـفظوه ووعَـوْه مـن أخبـار الماضين وقـصص الراحلين » (١). والآن ما العمل ؟ أنقول إن الكلام الأول كان فى الصفحة السابعة عشرة ، على حين أن الكلام الثانى موجود فى الصفحة السادسة والأربعين بعد المائة ، فالمسافة بين الصفحتين من الطول إذن بحيث تسمح لأولئك العبيد أن يتغلبوا على عُجْمتهم وحُكْلتهم وأن يتعلموا العربية ويحسنوا الحديث والتعبير بها عن أعقد الأفكار والمشاعر؟ ولم لا ؟ إن الفرق بين الموضعين هو مائة وثلاثون صفحة ، كل صفحة تنطح صفحة ، وهو فرق هائل يمكن أن تتحقق فيه المعجزات !

ومما يلفت النظر أيضًا الحملةُ العنيفة الشعواء التى يشنها المؤلف فى عـدة مـواضع من كـتابه على المستشرقين مُسَفِّهًا لعقولهم وأفكارهم ، ومتّهـمـا لهم بالجهل باللسان العربى والعجز عن فهم الكتب العربية فهمًا صحيحًا ، وداعيا إياهم إلى أن يأتوا فَيَجْثُوا بين يديه ليرتشفوا من رحيق علمه الصافى ، وضاحكًا منهم ومن جهلهم

(١) ص ١٤٦ ـ ١٤٧ . والجزء الذى تحته خط نَقَلَه الكاتب من د. جواد على .

لدرجة « الاستلقاء على القفا » حسب تعبيره ، وناعيًا عليهم «عباطتهم» وانغلاق بصائرهم [١]. وقارئ هذا الكلام لن يصدق أن صاحبه هو هو نفسه الذى رفعهم إلى أعلى علّيين فى كتاب آخر من الكتب التى تحمل اسم خليل عبد الكريم أيضا ، وإن استثنى من هذا التمجيد الطائفة التى أسلمت منهم ، إذ رماها بالفجاجة والضمور الفكرى والهزال [٢]. فالمسألة عند صاحب هذه الكتب ، كما هو واضح ، ليست مسألة تحقيق علمى موضوعى بل مسألة حالات لا ضابط لها ولا رابط ، اللهم إلا كُرْهه القاتل للإسلام ونبيه ورموزه الأطهار الشرفاء . والحالة التى بين أيدينا الآن تستلزم التطاول على المستشرقين من أجل إيهام القارئ المسلم أن الكاتب يعادى الاستشراق ولا ينطلق من نقطة الكراهية لدين محمد .

ولا مانع عند المستشرقين أن يُقَلّل من شأنهم ظاهريا ما دام الهدف الذى يصوب الكتاب إليه سهامه السّامّة هو نفس الهدف الذى يتغيَّوْن ، وهو ضرب الإسلام فى مقتل . وإذا كان الكتاب يتضمن

---

(١) ص ١٦ ، ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، ٣٩٣ .

(٢) انظر « شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ـ محمد والصحابة » / ١٦٦ ـ ١٦٧ .

كل هذا القدر الهائل البشع من البذاء والاستهزاء بمحمد ، فلا مانع أن ينال المستشرقين شيء من تقليل الشأن الذى يُعَدّ ، بالقياس إلى ما وُجِّه إلى الرسول الأكرم ، دغدغة من الحبيب لحبيبه . ومع ذلك كله فإن اللعبة مكشوفة بل مفضوحة لا تجوز على أحد !

ونمضى مع مخازى الكتاب الأخرى ، بيد أننا لن نتناول إلا عينة محدودة من ألوان الخَبَل الفكرى التى يفيض بها . ونبدأ بالسؤال التالى، وهو يتعلق بالفكرة الأساسية التى يدور عليها فنقول : إذا كانت خديجة تؤمن بأن هناك نبيا قادماً فكيف يخطر فى ذهنها مجردَ خُطُورٍ أن تقوم هى بتعليمه وتدريبه وتثقيفه وتوجيهه أو ، حسب لغة الحشاشين والحوذية ، بـ « صَنْفَرَتَه وقَلْوَظَتَه وتلميعه » ؟ كيف يا ترى يمكن لبشر عادى ، بالغا ما بلغ تفوقه العقلى وسموّه النفسى وامتيازه الخلقى ، أن يصنع نبيا ؟ أأرادت بعملية « الصنفرة والقلوظة والتلميعُ » أن تتدارك مقدَّما ما يمكن أن يقع فيه الله سبحانه وتعالى من سهو أو نسيان فَيَخْرُجِ نبيه من تحت يده غير مُصَنْفَرٍ أو مُقَلْوَظ ؟ أأنا فى حلم أم فى علم يا إلهى ؟ أهذا كلام يقوله بشر ، أم نَعِيرٌ مما تصيح به البقر ؟ وحتى لو جارينا أصحاب هذا التفكير (أو بالحَرَى :

«التّعير») ، فهل تستغرق هذه العملية ، وبالذات مع شخص عبقرى كمحمد (حسبما وصفه الكتاب مرارا) ، خمسة عشر عامًا ؟ إن المقصود بالتثقيف هنا هو قراءة التوراة والإنجيل عليه وشرحهما له ، فما الذى فيهما مما يمكن أن يستغرق شَرْحُه وفَهْمُه خمسة عشر عامًا، ومحمد ، طبقا لشهادة ذلك المبشّر له أكثر من مرة ، كان كالكمبيوتر فى الحفظ والاستيعاب والقابلية للبرمجة ؟ والله لو كان كمبيوترَ وزارة الداخلية ذاتَه الذى تتهمه صحف المعارضة بالضلال المبين ما أخذت منه المسألة خمس عشرة ثانية ! ثم لماذا لم تُحْضِر له مدرساً خصوصياً يعلمه القراءة والكتابة ليقرأ الكتب بنفسه بدلاً من « خوْتة الدماغ » التى كانت تتكبدها ؟ ألم أقل إن المبشر الذى ألّف هذا الكتاب إنما يفكر بحوافره ؟

إنى دائمًا ما أقول إن أهل الغرب ذوو عقول منظمة وتفكير مستقيم ، إلا أن يُذْكر أمامهم محمد ، فعندئذ يرتدّون كالأطفال فتتأتئ عقولهم وتفأفئ ! إن ذِكْر محمد أمامهم يُشِلّ منهم الأذهان ! وإلا فأنشدك الله أيها القارئ أن تحاول تفسير هذا البِراز الذى يلطخون به الأوراق كلما أرادوا أن يتحدثوا عن الإسلام . إنك تنظر إليهم ، وهم يتحدثون فى أى موضع خلا الإسلام ونبىّ الإسلام ، فتجد لهم

فى وجوههم أفواها ، وتنصت إلى هذه الأفواه فتجدها تصدر كلاما ، لكن ما إن يتحول الحديث إلى محمد حتى تفاجأ بأن هذه الأفواه قد انقلبت إلى أستاه لا يصدر عنها إلا الضراط والخراء ! ثم تساؤل آخر : إذا كانت خديجة تستطيع أن تصنع نبيًا ، فلماذا لم تحاول أن تجعل من نفسها هى نبية بدلاً من تجشُّم عناء القراءة والشرح والتسميع ... إلخ خمس عشرة سنة مع محمد ؟ لقد زعم المؤلف أنها كانت نصرانية . والنصارى (واليهود أيضًا) ، كما هو معروف ، يؤمنون بوجود نساء نبيات كسارة زوجة إبراهيم عليه السلام ، ومريم أخت هارون وموسى ، وحنة أم يحيى [1] ، أفلم يكن أجدر بها وأليق بحصافتها وحزمها وعزمها أن تضيف اسمها إلى قائمة النبيات لدى أهل الكتاب ما دامت النبوة بهذا اليسر عند صاحبنا ؟ أفلم تكن

---

(١) فى كتابى « مع الجاحظ فى رسالة الرد على النصارى » (نشر مكتبة زهراء الشرق) فصل بعنوان « نبوة النساء » فنّدتُ فيه اعتقاد أهل الكتاب فى نبوة النساء من قلب الكتاب المقدس نفسه . فأنا إذن ممن لا يوافقون على القول بأنه كانت هناك نساء نبيات ، لكنى هنا إنما أجرى مع المؤلف فيما يقول وأنطلق من نفس منطلقه ، وهذه غاية المسامحة من جانبى ، بيْد أن الطرق دائمًا ما تكون مسدودة فى وجهه رغم ذلك .

مثقفة (ومن الإنتلجنسيا أيضًا) كما يقول المتفيهق الوخيم الثقيل الظل؟ [١] أفلم تكن طاهرة (بل « الطاهرة » بألف ولام الماهية) ؟ أفلم تكن رَجْلة العزم قوية الشكيمة كما جاء فى الصفحة التاسعة والعشرين ؟ أفلم يكن أَمَلُها ومُنَى عينها أن تقوم بصنع نبى ؟ فما الذى منعها أن تجعل من نفسها النبية المنتظرة ؟ إن هذا يذكرنا بـ « أذنك من أين يا جحا ؟ » .

بل دَعُونا من هذا كله وتعالَوْا نسأل : لماذا أرادت خديجة أصلاً أن تصنع نبيا ما دام الأمر كله تدبيرا بشريا ؟ وأى تدبير ؟ تدبير هو إلى التآمر أقرب منه إلى استقامة الخلق والضمير . إن هذا يذكرنا بالمثل القائل : « من له مال يحيّره ، يشترى حماما ويطيّره » ! فخديجة، حسب هذه النظرية السقيمة الرذيلة رذالة عقل صاحبها ، كان عندها مال لا يُحْصَى ولا يُعَدّ ، وكانت لا تعرف ماذا تفعل به ، فقالت ذات يوم فى عقل بالها ، وكانت وحدها فى البيت لا تجد ما تفعله : « ما رأيك يا بنت يا خديجة ؟ أنت تسمعين الناس هذه الأيام فى كل مكان يتحدثون عن القادم المنتظر ، فماذا لو بادرْتِهم أنتِ

(١) ص ٩ ، ١٩١ ... إلخ .

واتفقتِ مع ابن عمك ورقة بن نوفل مدير « مصنع تجميع وتركيب وقَلْوَظَة الأنبياء ـ نوفل إخوان » على أن « يصنع » لك حِتّة نبى على هواكِ ، « ويصنفره ويقلوظه » مع ضمان سنة ، ويوصّله لك إلى البيت فتضعيه فى البهو على يمين الداخل بعد « تلميعه » من غبار الطريق لتكيدى به العواذل والأعادى من أمثال أم هانئ ؟ والنبى يا خديجة لتكوننّ هذه قنبلة الموسم ! » .

ألا خيبة الله على التافهين ! بالذمة أهؤلاء رجال ؟ أيمكن أن يكون رجلاً من يقول عن سيد الأنبياء والمرسلين إنه بحاجة إلى صنفرة وقلوظة وتلميع ؟ إن مثل هذا الكلام لا يمكن أن يدور إلا فى است (لا فى عقل) مبشّر قد ثارت به وَجْعاؤه أياما وليالى ذات عدد فلم يجد من يشفيه من دائها ! أخزاكم الله أيها المبشرون المناكيد ! إن مَنْ بيتُه من زجاج لا يرمى الجبال الرواسى الشماء بحجر ! ترى ما الذى يمنع الكاتب الفلحاس أن يجعل من نفسه نبيا ما دامت النبوة سهلة إلى هذا الحدّ؟ فلْيرِنا مهارته ، وها نحن أولاء منتظرون ، وأيضًا متيقنون أنه سيموت صفعا بالنعال القديمة على أيدى جماهير « المستضعفين فى الأرض » الذين يتفيهق بأنه وأمثاله

هم الناطقون باسمهم ، المدافعون عن مصالحهم ، الميّتون فى هواهم!

أوه ! لقد نسينا للأسف فى زحمة الكلام ورقة بن نوفل ، الذى كان أستاذا لأستاذة محمد وقسيساً لكنيسة مكة طبقا للنظرية الرقيعة . فيا ترى لماذا لم يتقدم هو ، وهو رجل جاهز وملء هدومه ثقافةً وإخلاصا وتقوى ، ويعرف العبرى (وربما السريانى والآرامى والحبشى وسائر اللغات السامية أيضًا) ، ويترجم من الإنجيل إلى العربية « ترجمة رائعة ودقيقة » (على حدّ وصف أحد النقاد المصريين لكل ترجمة يكتب عنها رغم أنه لا يعرف أية لغة أجنبية) ، فينصّب نفسه نبيا ؟ ألم تكن خديجة تموت رغبةً فى الفوز بالقادم المنتظر ؟ ألم يكن هو يحب خديجة ويبغى الزواج منها فلم يوفَّق ؟ تاهت ولقيناها ، فهذه هى الفرصة التى لا ينبغى أن يضيّعها من يديه بهذه البساطة : يدّعى النبوة ، ولن يحتاج الأمر عندئذ خمس عشرة سنة ولا حتى خمس عشرة دقيقة لأنه ، كما قلت ، جاهز من فوره ، على عكس محمد ، الذى يصوره لنا شُذّاذ التبشير فتًى خامًا مليطا من الثقافة عَرِيًا من التجربة والذى سيجشمه من تعب الإعداد وإرهاق التدريب ما تضيق به الصدور . ما عليه إذن إلا أن يقول : أنا نبى ، وموسى نبى ، وعيسى نبى ، وكل من له نبى يصلّى عليه ! فيرد عليه

جمهور أبرشيته فى صحن كنيسة مكة قائلين : « اللهم ، صلّ وسلّم عليك يا نبى ! » ، وبهذا تنفضّ السيرة كلها فى لحظات !

ولكن قبل أن نترك ورقة يجب أن نقف وقفة عند قُسُوسَته المزعومة . لقد ورد اسمه فى بعض الروايات الإسلامية مصحوبًا بلقب « القَسّ » ، فهل كان ، رضى الله عنه ، قسًّا فعلا ؟ لقد كان الرجل يعيش فى مكة ، ولم تكن فى مكة كنيسة على عكس ما يدّعى مؤلف الكتاب الذى نحن بصدده وكذلك صاحب «قسّ ونبى» (الذى يذكرنى عنوانه بـ « الراقصة والطبال » و « ياسين وبهية » و«حسن ونعيمة» و « مبروك ومقبولة » وغيرها من عناوين الأفلام والتمثيليات المشابهة) ، وإلا فَلْيَدُلَّنا أحدهما على مكان تلك الكنيسة ، اللهم إلا إذا قال لنا إن ورقة كان يضعها دائما فى جيبه لا يُخْرِجها ولا يريها لأحد فى حِلٍّ أو ترحال (لأنها أيضًا كانت كنيسة « نونُو » كـ « المحفّظ » (بسلامته) الذى لا يستطيع التلفظ بالهاء فيقول « الأيْئَة » بدل « الهيئة »)! وهأنذا أضع بين يديه « دائرة المعارف الإسلامية : The Encyclopaedia of Islam » ، التى كتبها المستشرقون من يهود ونصارى وملاحدة ، فليدلنا إن كان صادقا على أى موضع فيها يقول إن مكة كانت بها كنيسة .

إن المؤلف النحرير يزعم أن مكة كانت تعج بالنّصارى [١]، لكنه لم يُحِلْ فى ذلك إلى أى مرجع . أما أنا فيكفى أن أستشهد بلامنس المبشر الأسود القلب الذى يقول فى كتابه "L' Islam - Croyances et Institutions" إن النصارى المكيين إبانئذ لم يكونوا يشكلون سوى حفنة ضئيلة . وهذا نص كلامه بالفرنسية : "A la Mecque , nous ne pouvons constater que l' existence d'une infime poignée de chrétiens indigènes , à savoir qoraichites "[٢] ذلك أن مثل هذا المبشر البلچيكى المتعصب أشد التعصب لنصرانيته لا يمكن أن يقلّل من أعداد النصارى فى مكة بأية حال . إذن فمزاعم صاحب « فترة التكوين » لا تزيد على كونها سمادير مما يثور فى أذهان المساطيل ! وإلا فأين كان هؤلاء النصارى حين هجم أبرهة بجيشه الجرار يتقدمه الفيل على مدينتهم ؟ أكانوا سيسكتون فلا ينضمون إليه ضد مواطنيهم الوثنيين ؟ أم على الأقل هل كانت الروايات تتجاهلهم هذا التجاهل التام ؟

---

(١) ص ٣٤٢ .

(٢) ص ٢٧ ـ ٢٨ / المطبعة الكاثوليكية ببيروت / ١٩٢٦م .

وقد مرّ بنا قول المدعُوّ « أبا موسى الحريرى » إن ورقة كان ينتمى إلى النصارى الإبيونيين الذين لم يكونوا يرون فى عيسى إلها أو ابن إله، وكان الإنجيل الذى يقرأونه هو « الإنجيل بحسب العبرانيين » ، وهذا الإنجيل يخلو من عقيدة التثليث والصلب وما إلى ذلك . وهو نفسه ما جاء فى الكتاب الذى معنا حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنعل[1]. بل لقد ذهب إلى أن كل النصارى العرب كانوا من هذه الفرقة مستدلا على ذلك بأن القرآن الكريم لا يتحدث عن الأناجيل المتعددة التى بيد المسيحيين الآن بل عن إنجيل واحد هو الذى نزل على عيسى عليه السلام . وهو الإنجيل الذى كان يقرؤه ورقة وغيره من نصارى العرب[2]. ومن الممكن جدا فى رأيى أن يكون ورقة وأمثاله هم وحدهم من موحِّدى النصارى دون سائر النصارى العرب ، وإلا فلو كان العرب جميعا على النصرانية الصحيحة التى أتى بها عيسى ، وكان كتابهم هو حقا الإنجيل الذى نزل على ذلك الرسول عليه السلام ، فكيف نعلّل هذا الهجوم الشديد الذى يُصْلِى به القرآن الكريمُ النصارى وإيمانَهم بألوهية المسيح وصلبه ... إلخ منذ فترة

---

(١) انظر ص ٣٦ ، ١٤٤ ، ١٧٣ ، ٣٧١ مثلا .

(٢) ص ١٧٤ ـ ١٧٧ وغيرها .

مبكرة من الوحي المكي كقوله تعالى عن ابن مريم عليه السلام: ﴿ قال : إني عَبْدُ الله آتانِيَ الكتاب ، وجعلني نبيا * ... * ذلك عيسى بن مريم قَوْلَ الحق الذى فيه يَمْتَرون * ما كان لله أن يتَّخذ من ولد ! سبحانه ! إذا قضى أمرا فإنما يقول له : كن . فيكون * وإن الله ربى وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ [١]، وقوله عز شأنه حكاية لموقف الكفار حين رأَوا الرسول محمدا عليه السلام ينكر عليهم شركهم : ﴿ ولما ضُرِبَ ابنُ مريم مثلا إذا قومك منه يَصِدّون * وقالوا : آآلهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك إلا جدَلا ، بل هم قومٌ خَصِمون * إنْ هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل ﴾ ... إلى أن يقول سبحانه على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ [٢].

أما حديث القرآن عن إنجيل واحد لا عن أناجيل متعددة فسببه أن الله

---

(١) مريم / ٣٠ ـ ٣٧ .

(٢) الزخرف / ٥٧ ـ ٦٥ .

سبحانه قد أنزل إنجيلا واحداً على عبده ونبيه عيسى لا عدة أناجيل ، فهو يحدثهم عما أنزله لا عما سطروه بأيديهم وقالوا : ﴿ هذا من عند الله ﴾ ليشتروا به ثمناً قليلا . وهذا من الوضوح بمكان ، لكن الضمائر الملتوية تعمى عنه عمدا مع سبق الإصرار بغية إثارة الشكوك والعواصف .

أما لقب « القَسّ » الذى كان يُطْلَق على ورقة فلا يخرج عن أن يكون إشارة إلى تقواه وقراءته الإنجيل[1] ، فهو لَقَبٌ مَدْحِيّ لا اصطلاحى . وعندنا أيضا عبد الرحمن صاحب سلامة فى العصر الأموى الذى كان يُلَقَّب بـ«عبد الرحمن القسّ» رغم أنه كان مسلماً. ومعروف أن «القسّ» فى الأصل هو العالِم عند النصارى ، ثم أصبح يدل على الرتبة الكنسية المعروفة . هذا هو وضع المسألة ، لكن سمادير الخمر لا تترك صاحبنا فى حاله فيتمادى فى دعاواه قائلا إن ورقة ، حين عقد قران محمد على خديجة ، قد عقده بصفته الكهنوتية[2] .

---

(١) بل إن بعض الدارسين ينكرون مجرد نصرانيته مستندين فى ذلك إلى حجج يؤكدون بها ما يقولون . انظر د. عويد بن عياد المطرفى / ورقة بن نوفل فى بُطْنان الجنة / رابطة العالم الإسلامى / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م / ٥٧ وما بعدها.

(٢) ص ١٣٦ - ١٣٧ .

وهذا كذبٌ صُراح : فالرجل لم يكن قسًا كما أثبتنا لتونا . وثانيا ها هى ذى العبارة التى استند إليها صاحبنا فى التدليل على أن خُطْبة ورقة فى حفل النكاح المذكور كانت خطبة طقوسية . قال رضى الله عنه: « قد رغبنا فى حبلكم وشرفكم . فاشهدوا علىَّ يا معاشر قريش بأنى زوّجْتُ خديجة من محمد » . فهل هذا ، بالله أيها القراء ، هو الكلام الذى يقوله القسيس فى مثل هذه المناسبة ؟ هل يقول القسيس لأهل الخاطب إننا نرغب فى حبلكم وشرفكم ؟ وهل يمكن أن يكون ردّ وَلِىّ الخاطب على القسيس عندئذ : « قد أحببتُ أن يَشْرَكك عمها » كما قال أبو طالب لورقة بعد انتهائه من خطبته ، اللهم إلا إذا قيل إن عمها كان هو أيضًا قسيسًا فأراد أبو طالب أن تكون البركة مضاعفة ؟ أليست زيادة الخير خيرين على رأى المثل ؟ إن شرّ البلية حقًا ما يُضْحك ! طيب ، فأين الإكليل الذى تضعه العروس النصرانية على رأسها فى مثل هذه المناسبة ؟ وأين الزيت المقدس الذى يمسح القسيس به العروسين ؟ وهل يمكن أن نصدق أن خطبة قسيس فى عقد قران يمكن أن تخلو من ذكر الآب أو المسيح أو الروح القدس أو البركة المقدسة أو أى شىء من هذا القبيل؟ يا له من عرس نصرانى عجيب ! وهذا كله لو كان ورقة فعلاً هو

الذى تكلم باسم خديجة ، إذ الروايات الأخرى تقول إن أخاها أو أباها أو عمها هو الذى تولى ذلك ، لكن صاحبنا تجاهل هذا كله ظنا منه أن صنيعه ذاك سيوصّله إلى غرضه ، ولكن هيهات ثم هيهات!

ومن المسائل التى تتعلق بورقة أيضاً إطالة صاحب الكتاب الوقوف عند انقشاع الوحى عن رسول الله فى السنوات الأولى من بعثته وربطه بين ذلك وبين موت ورقة ربط العلة بالمعلول [١] ، مع أن الروايات التى اعتمد عليها تعطف الأمرين مجرد عطف بالواو مما لا يفيد تعليلا بل ولا ترتيبا زمنيا . يريد أن يقول إنه لما مات ورقة لم يعُدْ هناك أحد يُمِدّ محمدا بما يقوله للناس مدّعيا أنه وحى من السماء . وقد نسى الفلحاس أنه قال إن خديجة هى التى كانت تُمِدّ محمدا طوال الخمسة عشر عاما السابقة على البعثة ، فإذا أضفنا إليها السنوات التى مرت بعدها قبل أن يتوقف الوحى أصبح عندنا ما يقرب من عشرين عاماً حسب ما أورده الفلحاس من روايات ، وإلا فالروايات الأخرى تقول إن توقف الوحى إنما تم بعد الدفقة الأولى منه . فأين الطنطنة التى أوجع دماغنا بها طوال الوقت عن خبرة خديجة وذكاء

(١) ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

خديجة وثقافة خديجة التى جعلتها واحدة من «إنتلچنسيا» زمانها بجدارة واستحقاق ؟ ألا يكفيها هى ومحمدا عشرون عامًا كى يستطيعا الاستمرار فى أداء مهمتهما دون الاعتماد على ورقة ؟ فكيف استأنفا عملهما بعد ذلك رغم أن ورقة بعد أن دُفِن لم يعد إلى الحياة مرة أخرى ورغم أن الوحى بعدها أصبح أكثر موضوعاتٍ وأعقد حِجَاجا ؟ بل كيف استمر الوحى بعد موت خديجة نفسها ثلاث عشرة سنة وقد ازداد تنوعًا وتعقيدا ؟ شىء واحد يستطيع المبشر السخيف العقل أن يحاجّنا به ، ألا وهو أن الشنطة التى كان يضع فيها ورقة كتبه ومترجماته قد ذهبت عند تقسيم تركته إلى واحد من الورثة يعرف قيمتها لأنه كان من « الإنتليچنسيا الطليعيّين » فرفض أن يعطيها لخديجة إلا بعد مساومات ومداولات استغرقت وقتاً طويلا ، فلما استقرت « شنطة ورقة » (ورقة من ؟ صاحب الشنطة طبعا !) فى يد خديجة عاد الوحى يتدفق من جديد، وانطلقت جماهير «التِّرْسُو» تصفق لهذه النهاية السعيدة للفِلْم بعد أن علّق القلقُ أنفاسَها وقتا طويلا . هل رأى أحد رقاعة بهذه الغثاثة ؟ وبالمناسبة هناك كتبٌ أخرى مبكرة فى السيرة والتاريخ لا تذكر موت ورقة مع توقف الوحى بأية حال ، لكنى لن أقف عند هذا .

ويرتبط بهذه النقطة زعمٌ آخر ، فقد تفلحس المبشّر المستخفى مؤكدا أن السرّ فى عدم زواج الرسول على خديجة هو أنها كانت نصرانية ككثير من قومها بنى أسد ، والنصارى لا يعرفون تعدّد الزوجات. قال ذلك مختالاً منتفشا بعبقريته التى فطّنته لما لم يفطن إليه أحد من قبل من عرب وعجم وفرنجة[1] كما قال ، مع أنه هنا أيضًا إنما يردّد كلام المدعوّ « أبا موسى الحريرى » ! ثم إنه لم يكتف بذلك بل تخيل حواراً بين محمد وخديجة يقول فيه : «حتى لو فرضنا فرضا جدليا أنه فكر فى ذلك (أى فى الزواج عليها بأخرى) ، فإن الرد سوف يجىء من الطاهرة أُمّ هند : أذكّرك يا أبا القاسم (هكذا دأبت على مناداته أ. هـ.) بأن ثقافتنا الدينية تَحْظُره حَظْراً باتا . وماذا يقول بحيرا وورقة وعداس وناصح وميسرة عنى؟»[2]. يا فجورك يا أخى ! أنا أقول لك ماذا سيقول بحيرا وورقة وعداس وناصح وميسرة . سيقولون إن ملفّق هذا الكلام مبشّر رقيع ! ارتحت ؟ انبسطت ؟ هدأ بالك ؟ الحمد لله ! نعود إذن إلى ما كنا بسبيله .

لقد فرغنا من أن عدد النصارى القرشيين فى مكة كلها كان لا

---

(١) ص ٢٧٨ _ ٢٧٩ .

(٢) ص ٣١٤ _ ٣١٥ .

يزيد على « حفنة ضئيلة » ، فما معنى الطنطنة بأن كثيرين من بنى أسد كانوا نصارى ؟ إن الروايات لا تذكر لنا منهم سوى اثنين لا غير هما ورقة وابن عمه عثمان بن الحويرث ، الذى ذهب إلى قيصر واقترح عليه أن يولّيه مكة ففعل ، فلما عاد ودعا قومه إلى النصرانية هبوا فى وجهه على بكرة أبيهم وطردوه شرّ طردة [1] مما يدل على أن هذه الديانة لم يكن لها أى أتباع تقريبا فى مكة . ثم إن خديجة ، كما يقول الفلحاس ، قد تزوجت محمدا من أجل تصنيعه نبيا ، أى أنها لم تكن راضية بنصرانيتها المزعومة بل تريد شيئا جديدا ، فكيف نحاجّه بها إذن ؟ إن هذا لهو الخَبَلُ بعينه ، وخديجة بنت خويلد أحصف وأعقل وأكمل من ذاك !

والآن إلى القنبلة التى ستنزل على هذا السخف وتلك الرقاعة فتدمرهما تدميرا . لقد تزوج كُلٌّ من جدّ خديجة وأبيها وأعمامها نوفل وحبيب والمطلب وأخيها العوام أكثر من زوجة ، وبعضهم توسّع فى ذلك توسُّعا [2] . بل إن أخاها العوام قد خلَّف أباه على إحدى

---

(١) ص ١١٥ وما بعدها .

(٢) انظر « نسب قريش » لمصعب الزبيرى / تحقيق ليفى بروفنسال / دار المعارف / ط٣ / ص ٢٢٨ وما بعدها ، و ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، و ٢١١ وما بعدها ، و ٢١٨ وما بعدها ، و ٢٣٥ وما بعدها .

زوجاته [١]، وهو أمر لا تقبله النصرانية . فماذا يقول أبو الفلاحيس في ذلك ؟

هذا ، ولعل القارئ العزيز قد لاحظ الإشارة التى وضعها المتنطع الكذوب بين قوسين يهمز بها خديجة والنبى ، وهى الإشارة التى يقول فيها إن خديجة قد «دأبت» على مناداة الرسول بـ « يا أبا القاسم » ، والتى أوردها بصورة أوضح قبل ذلك فى معرض المقارنة بين عائشة وخديجة ، إذ يزعم أن الأولى كانت تناديه عليه السلام بـ « يا رسول الله » ، أما خديجة فكانت تخاطبه بـ « يا أبا القاسم » أو « يا محمد » إلا فى الشاذ النادر ، لأنها هى التى كانت «توجهه وتطلب إليه وتشير عليه» ، على عكس عائشة التى كانت « تلبّى وتطيع وتمتثل وتأتمر بأمره وتنفّذ وتسمع ... إلخ ، وهو الفرق الواضح الذى لا يحتاج إلى زكانة لمعرفته أو حتى إلى لمسه باليد بين خِطَاب الهِنْدُوز واستجابة التلميذة » كما ذكر [٢]. يريد أن يقول إن خديجة لم تكن تعترف به رسولاً ، إذ هى التى صنعته بيديها صنْعا .

---

(١) ص ٢١١ .

(٢) ص ١٥٤ .

وهذا كلام ككلام القحبة حين تريد مكايدة السيدة الحرة العفيفة فتقول لها بكل بجاحة ووقاحة وعلى ملإ من الناس : « أنا أشرف منك سلوكا وأطهر أخلاقا » ، وهى تعرف أن صاحبة العصمة والشرف لن تردّ عليها . لكن الأمر عندنا أكبر من هذا الاعتبار ، ومن ثم فلا بد من الردّ على هذا البراز الذى يَسْلَح به فم المبشّر الكذّاب : فخديجة ، حتى لو افترضنا أنها هى التى جعلت من محمد نبيا ، لا يمكن أن تفعل هذا . أليست هى التى حفيت سعياً من أجل الزواج به وتصييره نبيا حسب نظرية هذا المبشّر الخسيس ؟ فكيف ، حينما نجحت أخيراً وبلغت هدفها بعد تعب خمسة عشر عاما ، تنقلب على عقبيها وتتنكر لكل ما فعلته وبذلتْه وضحّتْ به ؟ ولم إذن كان كفاح الأعوام الطويلة ؟ وفيم كان إنفاق الأموال الطائلة ؟ وما الحكمة من وراء كل ذلك التكتم الرهيب خوفا على زوجها أن يقتله أهل الكتاب إذا علموا أنه النبى المنتظر حسبما ذكر صاحبنا وكرّر ؟ والله إن مخلوقا يقول هذا عن خديجة لرقيع ! ولقد ردّد الفلحاس نفسه القول مرارا بأن سعادة خديجة بنجاح تجربتها مع محمد كانت لا توصَف ولا تُحدّ[1] ، فكيف يتّفق هذا مع ذاك ؟ ثم إن ما وصلنا من كلام

---

(١) ص ٣٣٩ ، ٣٦٨ مثلا .

خديجة إلى رسول الله قليل لا يسوّغ أن نقول إنها رضى الله عنها قد « دأبت » على أن تناديه بهذه الطريقة أو بتلك ، لأن الدأب معناه العادة ، والعادة لا تَصْدُق إلا على الأمر الذى يتكرر حدوثه كثيراً . كذلك فما من مرة نادت رضى الله عنها زوجها الكريم بعد الإسلام إلا وقالت له : « يا رسول الله » ، أما قبل البعثة فكانت تقول له : « يا أبا القاسم » أو « يا ابن عمّ » على قلة ذلك كما قلنا. وإلى القارئ شاهداً على كل من هذا وذاك:

فأما الشاهد الأول فمؤدّاه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى بداية ظهور جبريل له وقبل أن يتيقن أنه الوحى ، كان يقص على خديجة ما يسمعه ويراه ، فتقول له : « استر يا ابن عم ، فوالله إنى لأرجو أن يصنع الله بك خيراً »[1]. وأما الشاهد الخاص بمخاطبتها إياه بعد البعثة بـ «يا رسول الله» فيتلخص فى أنه حين مات ابنها عبد الله (بعد أشهر من وفاة أخيه القاسم) ، ولم يكن قد فُطِم ، قالت : « يا رسول الله ، لو بَقِىَ حتى أفطمه ؟ قال : فإن فطامه فى الجنة»[2]. وهذا هو الوضع الطبيعى والمنطقى ، فقبل النبوة لم يكن

---

(١) تاريخ اليعقوبى / دار صادر ودار بيروت / ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م / ٢ / ٢٢ .

(٢) المرجع السابق / ٢ / ٣٢ .

من الممكن أن تلقّبه بها ، أما بعدها فما دامت قد صدّقته ودخلت في الدين الذى أتى به فكيف يمكن أن يدور فى ذهنها هذا الذى يدّعيه عليها المبشّر التالف فتستنكف أن تعترف بأنه رسول من عند رب العالمين ؟

كذلك أثار الكاتبُ المستخفِي غثياننَا بادعائه المنتن على مدار الكتاب كله بأن خديجة هي التى صنعت من محمد نبيا . فما العمل إذا قلنا له إن عددا من إخوة خديجة قد تأخروا فى الإيمان بنبوة محمد وحاربوه ، بل إن بعضهم مات وهو كافر به[1]، ومع هذا لم نسمع أيا منهم يرفع فى وجهه صلى الله عليه وسلم هذا السلاح ؟ أمن الممكن أن يصل الأمر بينه وبينهم إلى الحروب والدماء ، وبخاصة من لم يكونوا منهم لخديجة بأشقاء ، ثم لا يعايره أحد منهم بأن أخته هى التى نبّأته وصنّفرته وقلّوظته ؟ لقد قصرتُ القول هنا على إخوتها رضى الله عنها لأنى لو أدخلت معهم أمثال أبى لهب وأبى سفيان وأبى جهل وعتبة وشيبة والوليد وغيرهم من الأباعد لقال الأبعد إن خديجة وورقة قد تكتما هذا الأمر تكتما . أما بالنسبة لأقاربها فما

---

(١) نسب قريش / ٢٢٨ وما بعدها .

كان لهذا التكتم أن يفلح مهما بالغت فيه واحتاطت له .

والرّذل الغثيث يكذب ويدعى على طائفة من كُتّاب السيرة ومدّاحى النبى من الشعراء أنهم قد لحنوا إلى ما قاله هو فى كتابه من أن خديجة هى صانعة النبى ومثقّفته ومُهنّدِمته . قال هذا عن ورقة ، وقاله عن البوصيرى ، وقاله عن طه حسين ، وقاله عن د. عبد الحليم محمود ، وقاله عن غيرهم . ولأنه رقيع وضيع لا يستحى فقد أورد من كتاباتهم النصوص التى زعم أنها تشير إلى ما كانوا يعتقدونه واكتفَوْا بالجمجمة فيه دون التصريح (١) . وهذا جنون مطبق وسعار لا سبيل إلى الشفاء منه ، إذ من ذا الذى يجرؤ على العبث جِهارا نهارا بالنصوص التى تمدح النبى وتمجّده وتبدى انبهارها برسالته صلى الله عليه وسلم وتثنى على خديجة لوقوفها إلى جانب زوجها وإيمانها الراسخ به وبدينه فيدّعى أنها تومئ إلى عكس ذلك تماماً إلا واحد قد فقد عقله وحياءه وبلغ من ذلك مدًى لا يقبل علاجًا ولا بُرْءًا ؟ وبالمناسبة فهو هنا يردّد ما قاله المدعوّ « أبا موسى الحريرى » كما سلف الإيماء إليه .

---

(١) انظر ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، ١٨٢ ، ٢٧٨ على سبيل المثال .

وسوف أسوق هذه النصوص التى فقد المبشّر الحقود المهتاج رُشْدَه فزعم بشأنها المزاعم . ونبدأ بالشعر المنسوب إلى ورقة ، ولا يهمنا أكان هذا الشعر صحيحًا أم لا ، فمنهجى على طول هذه الدراسة هو التسليم للمؤلف الحقود بما يعتمد عليه من روايات حتى لو كان لى رأى آخر فى وثاقتها ، وذلك حتى أبين للقارئ أن كلامه ، مع المسامحة المطلقة من جانبنا ، هو كلام لا قيمة له لأنه ، كما قلت مرارا ، لا يخرج من عقله بل من مخرج آخر . وها هى ذى الآيات التى أوردها لورقة:

حتى خديجة تدعونى لأخبرها ... وما لها بخَفِىِّ الغيب من خَبَرِ

جاءت لتسألنى عنه لأخبرها ... أمرا أراه سيأتى الناس من أخر

وخبّرتْنى بأمر قد سمعت به ... فيما مضى من قديم الدهر والعُصُرِ (١)

فما الذى فى هذه الأبيات الثلاثة مما يمكن أن يتعلق به أى إنسان يفهم الكلام بعقله لا بشىء آخر فى القول بأنه دليل لا يقبل الشك على أن ورقة وخديجة قد « تعاضدا على إنجاز التجربة التى موضوعها التجيد / النجيب » ؟ أهذا غاية ما عند أعداء محمد والإسلام ؟ أهذا

---

(١) ص ١٨٢ .

هو الكلام الذى تُنْشأ له مؤسسات لنشره فى ورقٍ فاخر وإخراجٍ فخم رغم أن أحدا فى العادة لا يشتريه ؟ لقد رأيت بنفسى فى معرض الكتاب أولاداً استأجرتهم إحدى دور النشر للصراخ بأعلى صوت كالمجنون الذى يعارك نفسه : « بصّ ! شُفْ ! كُتُبُ فلان المصادرة ! بصّ ! شف ! كتب فلان المصادرة ! » ، ولم أر أحداً والله قد تعطّف والتفت إلى ما يقوله هؤلاء المساكين !

وبالنسبة للبوصيرى فقد نقل المبشر الملتاثُ العقل أبياتاً نسبها مؤلف « السيرة الحلبية » إلى ذلك الشاعر مسمِّيا إياه بـ «صاحب الهمزية» ، وهى تتحدث عن الأسلوب الذى لجأت إليه السيدة خديجة رضى الله عنها للتثبت من أن ما يراه الرسول عليه السلام ويسمعه ملاك لا شيطان ، فتبين لها أنه ملاك لا يمكن أن يأتى إلا بالخير . ووردت فى كلام البوصيرى كلمة « الكيمياء » ، فعضّ عليها مبشرنا الأمين جدا بأنيابه الزرقاء يريد أن يوهم القراء بأنها تشهد بصحة ما قاله من أنها رضوان الله عليها كانت تقوم بتجاربها على محمد كي تخلق منه نبيا [1] . أفليس يُجْرِى العلماءُ فى معاملهم ، ضمن ما يُجْرُون ، «تجارب كيميائية» ؟ إذن فالبوصيرى عندما يذكر

---

(١) انظر ص ١٣٠ .

الكيمياء إنما يقصد هذه « التجربة » التى خاضتها أُولَى أمهات المؤمنين وخرجت منها بنبى حسب نظرية ذلك المتفلحس . أرأيتم ذكاء وأمانة كهذه الأمانة وذلك الذكاء ؟ لقد نظم البوصيرى الذى كان يذوب حبّا فى سيدنا رسول الله همزيته فى نحو أربعمائة وخمسين بيتا جعل فيها النبىَّ عليه السلام سماءً لا تطاولها أية سماء أخرى ولا يستطيع أحد غيره من الأنبياء أن يرْقَى رقيّه ، وأكد أن كل نور فى الكون إنما هو مستمَدّ من نوره ، كما أفاض فى الحديث عن معجزاته ، وصوّر جهاده العظيم فى سبيل الإسلام ، وردّ على مفتريات أهل الكتاب وهاجم معتقداتهم الكافرة ، وتشفَّع به عليه السلام كى يغفر الله له ذنوبه يوم القيامة ... إلخ ، فكيف يمكن أن يخطر فى ذهن أى إنسان أن الرجل يمكن أن يغمز النبى كما زعم المبشِّر الرقيع؟ صدق رسولنا الأكرم : « إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئت » . وبالمناسبة فأنا متأكد أن ذلك الحاقد لا يعرف أن البوصيرى هو المراد بلقب « صاحب الهمزية » . وهذه هى الأبيات المذكورة :

وأتاه فى بيتها جبرئيل	ولذى اللب فى الأمور ارتياءُ
فأماطت عنها الخمار لتدرى	أهو الوحى أم هو الإغماء
فاختفى عند كشفها الرأسَ جبـ	ـريلُ فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبانت خديجة أنه الكنـ	ـز الذى حاولته والكيمياءُ

والواقع أنه لو كان البوصيرى قد قال بدلا من « الكيمياء » : الفيزياء أو الأحياء ، أو حتى اللوبياء أو الفاصولياء أو الدُّبّاء (والدُّباء هو القرع ، وكان سيدنا النبى عليه السلام يحبه) لكان كاتبنا الهمام قد صاح بنفس الرقاعة قائلا : انظروا ! ها هو ذا الشاعر قد أشار إلى أن خديجة كانت تُعِدّ الطبخة لصُنْع نبى ، بالضبط كما تُطْبَخ اللوبياء والفاصولياء ! ذلك أن أمثاله لا يقف أمامهم شىء ، فهم لا يبالون بالمنطق ولا بأمانة العلم ! إن حَقَدة المستشرقين والمبشرين لا يعرفون الحياء ، إذ ليس عندهم (كما تقول اللغة الدارجة) « شىء من الأحمر » ! وعلى أية حال فليس المراد بلفظة « الكيمياء » هنا هو العلم المعروف الآن ، بل « الإكسير » حسبما كان العرب يستعملونها قديما . ومعنى « حاولتْه » : « رامتْه » . وعلى هذا فشرح البيت هو أن خديجة قد تيقنت بالطريقة المذكورة أن زوجها هو النبى المنتظر وليس أحدا غيره ، وهذا هو الكنز الروحى الذى يحرص أى إنسان نبيل على أن يحصل عليه . ولا علاقة لشىء من هذا ، كما ترى ، بالسخف الذى زعمه المبشر المجهول . ترى لو كانت خديجة هى التى صنعت محمدا ، أكانت بحاجة إلى التحقق من صدق كونه هو النبى المنتظر ؟ بطبيعة الحال كلا ، إذ كيف

يستوى صدقٌ وتزييفٌ مصطنَعَ ؟

ثم إن للهمزية عدة شروح ، ومنها شرح الإمام ابن حجر ، الذى لم يترك فيها شيئا لا من جهة اللغة ولا من جهة النحو والصرف ولا من جهة التاريخ ولا من جهة الدين ... إلخ إلاَّ وأشبعه شرحًا وتحليلا وتوضيحا . فكيف فات ابن حجر ما زعمه المبشر الأفَاك على البوصيرى رحمه الله ، وابن حجر إمام كبير من أئمة الدين ؟ كذلك توجد على شرح ابن حجر حاشية للشيخ محمد الحفنى مُفْعَمَة بالملاحظات على ما قال ابن حجر فى شرحه لا تكاد تترك منه شيئًا يستوجب التعليق إلا علقت عليه . ومع ذلك فعبثًا نبحث فيها عن شىء من هذا الادعاء الوقح الذى بَهَتَ به صاحبُنا المخادعُ الإمامَ البوصيرى . إن من المضحك المبكى أن نشغل أنفسنا بتفنيد هذا السخف التافه ، لكن ماذا نفعل وفى البشر حمقى وجهلاء يمكن أن يدخل عليهم هذا الهراء فيرددوه كالببغاوات إذا لم يجدوا من يتصدى له ويعرّيه ؟

أما د. طه فلم ينقل المؤلف من كلامه إلا سطراً تقريبًا ثم قطع النقل فجأة وأخذ يزعق ويصيح بما معناه : « انظروا . هذا هو عميد

الأدب العربى يقول إن خديجة هى التى صنعت محمدا وجعلت منه نبيا . لقد قُضِى الأمر وحُسِمت المسألة ولم يعد هناك من شك فى أن محمدا نبى مزيف . وهل بعد كلام العميد من كلام ؟ ». وهو فى هذا يشبه إنسانًا مفلولا مغلولا من رجل وامرأة شريفين تصادف أن تقابلا بمرأى منه فى الطريق مجرد تقابل ثم مضى كل منهما لطِيَّته دون أن ينظر كل منهما للآخر ، فأخذ صاحبنا يصرخ بكل قواه : «انظروا يا ناس إلى هذين المجرمين ! ها هما ذان يمارسان الفاحشة علنا على قارعة الطريق ، فانزلوا وشاهدوهما بأعينكم وهما متلبسان بجريمتهما» . وينزل الناس فلا يَرَوْنَ زنًا بل لا يجدون أحدًا بالمرة ، فيسألون عن سرّ إزعاجه إياهم دون سبب فلا يجدون منه إلا سحنة وقاحًا تغرى بضرب الحذاء ، لكنهم يعفّون عن أن ينجسّوا أحذيتهم بضربه . والآن مع كلام طه حسين . يقول الرجل : « لقد أحبَّت خديجة هذا الفتى منذ كان صبيا وجعلت ترعاه من بعيد وترقب من أمره ما تستطيع أن ترقبه وتتبع نموه واكتماله »[1]. فأين الكلام هنا عن التجربة التى مارستها خديجة بحق محمد ؟

---

(١) ص ١٣١ .

إن الدكتور طه يقول إنها « جعلت ترعاه من بعيد وترقب من أمره ما تستطيع أن ترقبه » ، وهو ما لا معنى له إلا أنها لم تكن تلتقى به أو تتحدث معه بل كانت تتبع أخباره من بعيد . والحمد لله أن هذا الكلام لم يُكْتَبْ فى أيامنا هذه ، وإلا لقال المبشِّر المحترق إن المقصود أنها كانت تدير تجربتها بـ« الريموت كنترول : Remote Control » ! ومرة أخرى ترانى أيها القارئ العزيز أقف عند كلام د. طه حسين دون أن أتساءل عن المصدر الذى استقاه منه ولا عن مدى أهلية هذا المصدر للثقة ، بل أخذته مأخذ التسليم . ولقد رأيتَ بنفسك مدى الفجور الذى بلغه ادعاء المؤلف بشأن هذا النص أيضاً .

ونفس الشيء يفعله هذا الأفاك البَجِح بالسطور التالية التى يقول فيها الرجل الشريف د. عبد الحليم محمود : « وعاش معها (أى الرسول مع خديجة) زهاء خمس وعشرين سنة دون أن يجمع معها زوجة أخرى ، وكانت أحب الناس إليه وأقربهم إلى نفسه صلى الله عليه وسلم لإيمانها العميق ووفائها النادر وحرصها التام على ما يُرْضِى الله تعالى ويُرْضِى رسوله صلى الله عليه وسلم »[1]. إن

---

(١) ص ٢٧٨ .

النص، كما هو واضح بيّنٌ حتى للأعمى ، يؤكد إيمانها العميق وحرصها التام على مرضاة الله ورسوله ، أما عُلُوج التبشير المستخفون فى طيات الظلام فيقولون إن فى ثنايا كلام شيخ الأزهر « تلميحا ولو من بعيد إلى دور الهِندَوْز فى إنجاز أروع التجارب التى حَظِيَ بحدوثها فى تضاعيفه القرنُ السابع الميلادى »[1] . هل تجدون أيها القراء الكرام فرقا بين صاحب هذا الكلام والمفلول المغلول الذى ادّعى على الرجل والمرأة الشريفين ما ادّعى ؟ أفلو كان الإمام الأكبر قد قصد شيئا من هذا أكان المبشّر الوضيع يتطاول على شخصه الكريم كما سبق أن ذكرنا ؟

ولا يكتفى الفلحاس بهذا بل يتطالّ إلى تفسير القرآن الكريم . ألا إن هذا لعجيب ! إن عند الإنجليز عبارة يضربون بها المثل فى استحالة وقوع الأمر فيقولون : « Pigs might fly » ، أى من الممكن جدا أن تطير الخنازير . لكن قد يحدث فعلا أن تطير الخنازير كما هو الحال عند حدوث دوامة هوائية عنيفة مثلا ، أما أن يفسّر مبشّرٌ محترقٌ جهولٌ القرآن فهذا هو العجيب الغريب حقا . ومع ذلك

(١) ص ٢٧٨ .

هيّا بنا نسمع ما يقول .

لقد فسّر قوله تعالى في سورة « الفرقان » عن الكافرين المكذبين برسالة محمد من أهل مكة : ﴿ وقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ... ؟ ﴾ بأن المراد أن خديجة كانت تطعمه وتغنيه عن السعي وراء المعاش (فهذا في رأيه معنى قولهم : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ؟ ») ، وأنهم كانوا مدركين لهدفه من وراء غشيان الأسواق ، ألا وهو الاختلاط بأهل الأديان المختلفة والسماع منهم ومناقشتهم كي يكتسب العلم والثقافة على أيديهم (وهذا في رأيه معنى قولهم : « ما له يمشي في الأسواق ؟ ») . ثم أخذ يتعالم ويشمخ بأنفه على المفسرين متهما إياهم بالجهل والبلادة العقلية والنقش من بعضهم البعض ومؤكدا أن تفسيره للآية هو وحده التفسير الذي يصح [١]. فبالله عليك أيها القارئ الكريم (واعذرني أني أرهقتك معي بكثرة مناداتي لك واستغاثتي بك لتشهد على هذا الجهل المبين) ، بالله عليك هل يمكن أن يكون معنى قول الكفار للنبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي

---

(١) ص ٣٢٠ ـ ٣٢٢ .

فى الأسـواق ... ؟﴾ هو هذا القىء الذى يتـحـفنا به ذلك المبـشـر الخسيس ؟ لو كـان ما يقـوله صحيحًا لقـد كـان ينبغى أن يجىء اعتراضهم على النحو التالى : « ما لهذا الرسول يأكل طعام خديجة ولا يسعى على رزقه بنفسه ؟ » . لقد كـانوا ، فى الواقع ، ينكرون عليه الأكل مطلقا ، إذ كانوا يستغربون أن يكون الرسول الذى يتصل بالسماء بشرا من البشر ، فهذا معنى استنكارهم أنه يأكل كما يأكل الناس ، ويمشى فى الأسواق كما يمشون . لقد كانوا يريدونه مَلَكًا من الملائكة أو أن ينزل معه على الأقل واحد منهم فَيَرَوْه عيانا بيانا ، أو يدعُوَ الله فيرسل له كنزاً من الذهب والفضة والجواهر الثمينة لا ينفد ... إلخ كما جاء عقب هذه الآية . فاعتراضهم إذن اعتراض على بشريته وخضوعه مثل سائر البشر لقوانين الكون فى كسب المال بحيث لا يستطيع أن يحوز شيئا منه إلا بالاشتغال مثلهم بحرفة من الحرف .

والدليل على صحة هذا التفسير قوله تعالى فى نفس السورة بعد عدة سطور : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم لَيأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ﴾ ، إلا إذا طلع علينا « بسلامته » فقال إن كل الرسل كانوا يعيشون على أموال زوجاتهم ، وكانوا يترددون جميعا

على سوق عكاظ ومجنة وذى المجاز ليستمعوا إلى ما يقوله القساوسة والأحبار . ويدور فى هذا المدار قوله عز شأنه فى آخر سورة « الرعد » : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ﴾ ، فهذه الآية أيضًا تردّ على استنكار من أنكر على الرسول أن يتزوج ويكون له أولاد كسائر البشر . وعلى أية حال فإن التردّد على الأسواق الذى يدّعى مؤلف الكتّاب أن محمدا كان يمارسه بغية التزود من الثقافات الدينية المختلفة على يد من يرتادها من الأحبار والرهبان ، والذى يقول إن خديجة هى التى أمرته به ، إنما كان قبل البعثة حسبما قال بعظمة لسانه الذى يستحق أن يُقْطَع من جذوره ويُرْمَى للكلاب ، أما الآية الكريمة التى بين أيدينا فتنتمى بطبيعة الحال إلى ما بعد البعثة بزمن غير قصير لأن سورة « الفرقان » ليست من سور الوحى الأول . أى أن ما يقوله هو هراء فى الهواء !

وعجيبٌ جِدٌّ عجيب أن يتطاول مثله إلى تفسير القرآن، وهذا هو أسلوبه ومستواه فى لغة القرآن ! وأعجب منه أن يأخذ فى الهمز واللمز والتلميح إلى أن القرآن هو من عند رسول الله، الذى حرص على وصفه فى هذا السياق بالتفوق فى معراج الفصاحة، وإن أرجعها فى ذات الوقت إلى تنشئته فى بنى سعد وَحْدَها نافيًا أن يكون لله دخل

فى ذلك على أى نحو . وسرّ حرصه على الإشادة ببلاغة رسول الله عليه السلام ليس حبّه له ، فهو يمقته مقتا شنيعا لم أر أحداً غيره يمقته إياه ، بل رَغْبَته فى القول بأن القرآن إذا كان فصيحا فذلك راجع إلى فصاحة محمد [1] . والحق إن مثل هذه المسألة لهى أرقى من أن يتطاول إلى الحديث فيها أى أحمق جهول . ولن نطيل القول فى هذا الموضوع بل نكتفى بإحالة القارئ الكريم إلى الدراسة التى صدرت لصاحب هذه السطور حديثًا فى نحو ستمائة صفحة بعنوان « القرآن والحديث ـ مقارنة أسلوبية »[2]، ولسوف يجد ما أثبتته الإحصاءات والمقارنات الأسلوبية بين القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى الألفاظ والصيغ والتراكيب والعبارات والصُّوَر والقسَم وأسماء الأعلام والبنية القصصية وغير ذلك من أن الأسلوبين مختلفان تمام الاختلاف مما يقطع بأن القرآن لا يمكن أن يكون من عند محمد . وهذه الدراسة ، رغم ذلك ، ليست إلا أول الغيث فى هذا المجال ، والأمل معقود على من يأتون بعد هذا فيتوسعون فى دراسة ذلك الموضوع مستعينين بالحاسوب والرياضيات الحديثة . أما

---

(١) ص ٢٨٤ وما بعدها .

(٢) نشر مكتبة زهراء الشرق .

كلام المصاطب الذى يردده الرقعاء الجهلاء فمكانه تحت الحذاء.

وبعد ، فقد أن الأوان أن نُجْلِس مبشّرنا الفلحاس على الخازوق .

لقد زعم العبقرى الهمام أن الذين صنعوا محمدا هم ورقة وخديجة وعداس وأبو بكر . لكننا جميعا نعرف أن هؤلاء كلهم قد آمنوا به صلى الله عليه وسلم وأحبّوه وأجلّوه وأسكنوه داخل حبات عيونهم . أم تراه سيقول إنه سقاهم « حاجة أصفرة » وضحك عليهم وأدخلهم فى دينه دون أن يشعروا ؟ إن الإنسان ليتساءل : لم يا تُرَى كل هذا الحقد على سيد الأنبياء ودينه ، وبخاصه فى عصرنا هذا ، عصر العلم الذى كرّمه دين محمد تكريماً لا ضريب له فى أى دين أو مذهب فلسفى أو تربوى آخر ؟ إن من خرج فى طلب العلم فهو (حسبما يقول الرسول الكريم) فى سبيل الله حتى يرجع ، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن مداد العلماء ليُوزَن بدماء الشهداء ، وإن فضل العالِم على العابد كفضل البدر على سائر الكواكب ، وإن من اجتهد فى مسألة من المسائل فأخطأ فله أجر ... إلخ ، إلخ إن كان لذلك من آخر . فما الذى فى هذا يا إلهى (وما هذا إلا نقطة واحدة من بحرٍ زخّار موّار) مما يمكن أن يبعث على الكفر بمحمد أو التنقص منه ومن